الفساد المالى والإدارى فى الدولة الإيلخانية (*)

د. هويدا عبدالمنعم سالم إدريس
أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي
قسم التاريخ
كلية الآداب – جامعة القاهرة

المقدمة:

كان المغول يتمتعون بشهرة حربية فائقة، وعلى الرغم من ذلك لم تكن لديهم خبرة بإدارة الممالك التى استولوا عليها، كما كانوا يجهلون النظم والرسوم التى كانت تتعلق بالحساب والاستيفاء وشئون الحكم والقضاء.(١) لذلك اعتمدوا على أهالى الممالك المغلوبة وتخيروا منهم الخبراء فى هذه الأمور وألحقوهم بخدمتهم وسلموا إليهم أغلب الشئون المتعلقة بالديوان والإدارة.(٢)

وعلى الرغم من إحكام السلاطين الإيلخانيين سيطرتهم العسكرية فى إيران والعراق إلا أنهم عجزوا عن إصلاح بعض الأوضاع المتردية فى المنظومة الإدارية والمالية. ففى فترة حكمهم استشرى الفساد المالى وانتشرت الرشوة فى الجهاز الإدارى أكثر من ذى قبل(٣) وسوف تلقي هذه الدراسة الضوء على بعض مظاهر هذا الفساد.

أولا: الإسراف المالى(٤):

عُرف عن السلاطين الإيلخانيين وأمرائهم حبهم لجمع الأموال بكافة الطرق عن طريق الغارات التى كانوا يشنونها أو عن طريق الضرائب(٥) ومصادرة أموال الناس. ومع ذلك كانوا يفرقون تلك الأموال على نسائهم

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يوليو ٢٠١٩، الجزء الثانى العدد ٥٥.

وحاشيتهم من الأمراء والجنود وغيرهم، وقد وجدت هذه العادة فيهم قبيل قيام الدولة الإيلخانية، فعندما سقطت بغداد فى أيديهم قام هولاكو بتوزيع الهدايا والأموال على الحاضرين[٦] يقول علاء الدين عطا ملك الچوينى[٧]: "اتجه الملك نحو منزل الخليفة ومعه كل من أراد مشاهدته، واستدعى الخليفة إليه وطلب أن يقدم له الهدايا، ووزع الملك كل ما أحضر له على حاشيته من الأمراء ومن الجنود ومن الحاضرين".

وعند قيام الدولة الإيلخانية صار من عادة الإيلخانيين عند جلوس أحدهم على عرش الإيلخانية توزيع الأموال والجواهر على الحاضرين، فعندما جلس أباقا خان على سرير الملك عام ٦٦٣هـ /١٢٦٥م قام بتوزيع أموالٍ كثيرة على الحاضرين.[٨] يقول رشيد الدين[٩] "وزع أباقاخان بعد جلوسه على عرش الإيلخانية أموالًا كثيرة من النقود والجواهر والثياب الثمينة على الخواتين والأمراء والانجال وغيرهم من الأمراء وعمَّ الخير كافة الجند".

وعندما اعتلى السلطان تكودار عرش الإيلخانية بسط البذل والجود وفرق كثيرًا من أموال أبيه على إخوته وأمرائه وقادة جيشه[١٠] ولم يكن كيخاتوخان (٦٩٠هـ/٦٩٤هـ) (١٢٩١م/١٢٩٤م) أقل بذخًا من سابقيه فعندما مرض أنفق على الناس صدقات كثيرة طلبًا للشفاء[١١] فيذكر عبد المحمد آيتي[١٢]:"عندما اشتد عليه المرض استدعى العلماء وأئمة الدين الإسلامى والرهبان والجثالقة والأساقفة وزعماء اليهود ليدعوا له ويلتمسوا الشفاء من الله تعالى، وقد أغدق على جميع طوائف الشعب الكثير من الصدقات إلى أن شُفى من مرضه، وقد احتفل كيخاتو بهذه المناسبة... ووزع على الأمراء والخواتين الثروات والنفائس التي كان حكام المغول وعمالهم قد جمعوها غدرًا من الناس، كما أعفى العلماء والسادات والأئمة من الضرائب، ومنح المحتاجين الصدقات، وفى رأيه أن النفائس والجواهر لائقة لزينة النساء وإلاَّ فلا فائدة لها سواء بقيت مكنوزة فى خزائن الملوك أو ظلت فى قاع البحار فى بطن الأصداف" .

وعلى الرغم أن هذه الأعمال كانت فى الظاهر بدافع الجود والكرم إلا أنها فى الواقع تسببت فى اضطراب الأحوال المالية فى عهده لخواء الخزانة وقلة العائدات[١٣] يقول خواندمير[١٤]: لم يبق فى الخزانة شيء من الدراهم والدنانير نتيجة إسراف كيخاتو فى إنعامه على الأشراف والأعيان وكثرة الإحسان ونفقات الوزير الكثيرة ".

كذلك حرص بعض إيلخانات المغول الذين تولوا العرش على تقديم الهدايا والهبات لأمراء المغول الذين ساندوهم فى الوصول إلى سُدة الحكم ونلمس هذا التطور بوضوح فى اجتماع القوريلتاى الذى عُقد لاختيار خَلَفٍ لأباقا حيث برز دور هؤلاء الأمراء لأول مرة فى تحريض أبناء الأسرة على طلب العرش[١٥].

حيث ظهرت ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: يتمثل فى بعض الأمراء المؤيدين لآباقا خان ورأوا أن أرغون بن أباقا هو الوريث الشرعى لأبيه، وأحق الناس بمنصب الإيلخانية.

الاتجاه الثاني: يمثله طائفة من كبار الأمراء وعظماء المغول وهم يرون بضرورة التمسك بالياسا التى تعطي أكبر أفراد الأسرة الحق فى تولى العرش، وهذا ما ينطبق تمامًا على الأمير تكودار أكبر أبناء هولاكوخان فى ذلك الوقت.
الاتجاه الثالث: تمثله اولجاى خاتون زوجة أباقاخان وهذه ترشح ابنها منكوتيمور للحكم.[١٦]

وأمام هذه التيارات المتعارضة اجتمع الأمراء والنبلاء وعظماء المغول ورأوا ضرورة المبادرة إلى اختيار الإيلخان الجديد وذلك منعًا للخلاف وحتى لا يتطرق الخلل إلى شئون الدولة نتيجة الصراع على هذا المنصب[١٧]. يقول رشيد الدين[١٨]:"إن الخلاف دب بين هذه الجماعة وكان "شيشى بخشى" أميرًا عاقلًا كُفئًا إلى أبعد حد، فحين رأى أكثر الأمراء يميلون إلى جانب أحمد تكودار. قال للأمير أرغون: "إن مصلحتك ومصلحتنا تقضى بأن ترضى بتولية

تكودار حتى نخرج سالمين من بين هذا الجمع" فلما لم يكن الجيش معه، رضي مرغما". وعلى أثر هذا الرأى أجمع الأمراء رأيهم على انتخاب تكودار الأخ الأكبر لأباقاخان ونصبوه إيلخانًا فى القوريلتاى الذى عقد فى (آلاتاغ) [١٩] فى المحرم عام٦٨١هـ/ ١٢٨٢م .[٢٠]

وعقب جلوس تكودار على عرش الإيلخانية بسط يد البذل والجود وفرق كثيرًا من أموال أبيه المكنوزة على إخوته وأمرائه وقواد جيشه[٢١]. يقول البناكي[٢٢]:"عندما أصبح تكودار هو السلطان، أمر بإحضار الخزائن التى كانت جاهزة فى قلعة "شاهوتيل" وقام بتوزيعها على الأمراء والأميرات والقواد" وخص الأمير شيكتور نوياى والأمير سونجاق آقا – من كبار أمراء المغول– بالهدايا القيمة تقديرًا لجهودهما فى إيصاله لعرش الإيلخانية . [٢٣]

استطاب أمراء المغول هذا التدخل الذى يحقق لهم بعض الامتيازات والمنافع، وعاودوا التدخل ثانية فى الصراع الذى نشب بين السلطان أحمد تكودار وابن اخيه الأمير أرغون[٢٤] حيث لم يلق إقدام السلطان أحمد تكودار على اعتناق الإسلام ترحيبًا من جانب هؤلاء الأمراء الذين كانوا لا يزالون حريصين على التمسك بعقائدهم وتقاليدهم، فرأوا فى سياسة تكودار خطرًا يهدد كيانهم، ويقوض بنيانهم، فناصبوه العداء وجهروا بالثورة عليه، وكان من أشد الناقمين عليه الأمير أرغون وخاصةً أنه كان يطمع فى أن يعتلى العرش بعد وفاة أبيه .[٢٥]

قام أمراء المغول بالتدخل مرة ثانية لمساندة الطامعين فى العرش، وإذا كان هؤلاء الأمراء قد فشلوا فيما مضي فى منع تكودار من الوصول إلى الحُكم، فإنهم نجحوا بعد ذلك فى القضاء عليه لكنهم انقسموا مرة أخرى فى تفضيل المنافسين بعضهم على بعض حتى تمكن الأمير "بوقا " من فرض أرغون على منافسه بالقوة على الرغم أنه كان أصغرهم حجة، وأقلهم نصيبًا فى تعاليم الياسا.[٢٦]

كان أرغون يعلم جيدًا أنه اعتلى عرش المغول فى إيران بفضل جهود الأمير بوقا ومخططاته الناجحة التى قضت على السلطان أحمد تكودار[٢٧] فقدره حق التقدير وكافأه بأن فوض إليه النيابة عنه فى كل كبيرة وصغيرة من مصالح البلاد وأطلق يده فى شئون الوزارة والجيش وزاد فى إكرامه والإغداق عليه بالأموال الوفيرة[٢٨] يقول رشيد الدين[٢٩]: أمر أرغون بأن ينثر على رأسه مقدارًا كبيرًا من الذهب بحيث أوشك أن يختفي تحته.. وفوض إليه النظر فى كل كبيرة وصغيرة من مصالح البلاد وجعله مطلق التصرف فى الأمر".

أخذ نفوذ الأمير بوقا يقوى يومًا بعد يوم إلى حد أن أصدر الإيلخان أمرا يقضى بأنه لا يحق لأى شخص أن يحاكم بوقا مهما ارتكب من جرائم سوى الإيلخان، وكان العمال ومرءوسيهم يطيعونه طاعة عمياء، ولا يقيمون وزنًا للإيلخان مع أنه صاحب السلطة الحقيقية فى البلاد، كذلك كانوا لا يقبلون تنفيذ المراسم الإيلخانية إذا لم تكن مختومة بختم بوقا الأحمر. [٣٠]

لم يقف إسراف إيلخانات المغول على إقامة الاحتفالات وتوزيع الهدايا فى مراسم التتويج ومكافأة الأمراء الذين قاموا بمساندتهم فى الوصول إلى سُدة الحكم. بل أنهم كانوا يغدقون أيضًا العطايا والهبات على أقاربهم الذين كانوا يفدون إليهم[٣١] يقول رشيد الدين [٣٢]: "أمضى أباقا خان الشتاء فى مازندران ونواحيها، ثم بلغه خبر وصول عشيرة هولاكو خان ... فإبتهج أباقا خان وسر بقدومهم وأكرم وفادتهم، وأغناهم بالأموال والمتاع... وقد أقطع أباقا خان هذه الجماعة بعض المواضع من ديار بكر وميافارفين وعدة أماكن أخرى باسم "تونلوق" بمعنى " الإلتزام " وكان يحصل منها ما يقرُب من مائة ألف دينار من الذهب الإبريز، وكان أباقا خان أحيانًا يبدي لهؤلاء مجاملات فائقة برسم الضيافة".

كان الإيلخانيون ينعمون أيضًا على وزرائهم بالكثير من الهدايا والهبات، ومن الوزراء الذين نالوا هذه الهبات آل الجوينى، ورشيد الدين

الهمدانى. ففى عهد السلطان أحمد تكودار أصدر أوامره بأن تُعاد إلى علاء عطا ملك جميع الأموال والممتلكات التى كانت قد صودرت منه، كما انهالت عليه الإنعامات الملكية.[٣٣]

يقول رشيد الدين[٣٤]: "صدرت الأوامر بأن تُعاد إلى الخواجة علاء الدين عطا ملك جميع الأموال والممتلكات التى كانت قد أخذت منه على سبيل المصادرة، وانهالت عليه الإنعامات الملكية، وسلموه الأقمشة والأمتعة، فجاء بها إلى الحضرة وقال: "إن كل ما حصلنا عليه نحن الأخوين، إنما جميعه من الصدقات الإيلخانية العميقة، وإنى أقدمها فى هذا المجلس بعنوان "النثار" ثم أشار بنثرها وتوزيعها كلها ".

أما الوزير رشيد الدين الهمدانى فقد نال إنعامات كثيرة من أولجايتو (٧٠٣:٧١٦هـ) (١٣٠٣:١٣١٦م) عقب تقديمه كتاب جامع التواريخ ويشير إلى ذلك كاترمير فى مقدمة كتاب جامع التواريخ فيقول[٣٥]: "والذى لا شك فيه أن رشيد الدين تلقى من أولجايتو مبالغ لا تحصى بعضها أرض وبعضها عطايا أخرى، ويشهد نفسه بأنه لم يحدث قط أن أظهر ملك نحو أحد رعاياه مثل هذا السخاء الشائع ".

لم يكن وزراء الإيلخانيين أقل من سلاطينهم كرمًا وسخاءًا فهذا "صدر جهان الزنجانى" وزير كيخاتو خان كان على شاكلة الخان يبذل الكثير ويسلك طريق الإفراط والبذخ ولا سيما مع طبقة العباد والزهاد، وذلك بقصد التحبب إليهم واستمالتهم إلى جانبه، وكان كلما حصل على شيء أنفقه على العلماء والمشايخ والفضلاء.[٣٦] يقول خواندمير[٣٧]:" والحقيقة أن صدر الدين أحمد تفوق على صاحب الرى وحاتم الطائى فى السماحة والكرم، فكان كلما حصل على شئ أنفقه على السادات والعلماء والمشايخ والفضلاء". وقد بلغ من إسرافه أنه اقترض- خلال سنتين من توليه الوزارة – ما يقرب من خمسمائة توما (٥,٠٠٠,٠٠٠) دينار فترتب على ذلك ارتباك مالية الدولة، وصارت الخزانة مهددة بالإفلاس .[٣٨]

قام صدر الدين بمحاولة لحل الأزمة المالية فنشر فى إيران الچاو أو الورقة المالية التى كانت شائعة ومتداولة فى الصين، وأقام لهذا الغرض المصانع من أجل تصنيعها فى المدن الكبرى، وسن قوانين مشددة منعوا بمقتضاها استعمال العملة المعدنية. وعلى الرغم من ذلك امتنع الناس عن التعامل بها وتعطلت التجارة وأغلقت الأسواق فى سائر البلدان فاضطر كيخاتو إلى إلغائها وقد ضاعف ذلك من سوء الأوضاع الاقتصادية فى عهده.[٣٩]

ثانيًا: (الرشوة)[٤٠]:

انتشرت الرشوة بشكل كبير فى الدولة الإيلخانية، وتعامل بها من صغار الموظفين إلى كبار الأمراء[٤١] ووصلت أيضًا إلى صاحب الديوان أو الوزير، وهو صاحب أعلى منصب فى الدولة إذ تأتى مكانته بعد مكانة الإيلخان مباشرة .

اتخذت الرشوة كوسيلة للوصول إلى المناصب العليا فى الدولة وذلك عن طريق إرضاء الخان وكبار الأمراء . كذلك اتخذت لكسب تأييد الأمراء ومساندتهم فى الصراع الذى كان يقوم بين كبار الموظفين، بالإضافة إلى قيام المختلسين بتقديمها لكى ينجوا بأنفسهم من العقاب هذا فضلًا عن اتخاذها وسيلة لتدبير المؤامرات وتلفيق التهم والتخلص من المنافسين ...

أولًا: شراء الوظائف:

أ- منصب الوزارة: استعان هولاكو خان عند زحفه نحو بغداد بعدد من المسلمين الذين كانوا يقومون بتنظيم النفقات على حملته فضلًا عن تأمين موارده من الضرائب التى فُرضت على أمراء البلاد المغلوبة وكان هؤلاء المسلمون قد توارثوا هذا العمل عن الدولة الخوارزمية وغيرها من الدول قُبيل الغزو المغولى .[٤٢]

ومع اتساع رقعة الدولة الإيلخانية زادت المهام التى كان يقوم بها من يتولى منصب الوزارة، فأصبح من واجبات الوزير إدارة شئون الدولة، وخاصةً

الشئون المالية، وزيادة أموال الخزانة، ومراقبة شئون الأملاك السلطانية، والسعى من أجل حفظ النظام والأمن فى المملكة، وضرب العملة ...[٤٣]

ونظرًا لعظم تلك المسئوليات التى تقع على كاهل الوزير فكان لا بد لمن يرشح لهذا المنصب أن يتحلى بالعديد من الصفات التى تؤهله للقيام بها ومنها أن يكون متعلمًا واسع الإطلاع على العلوم المختلفة الرائجة فى ذلك الوقت كالحساب والفلك، وعلوم الدين والأدب [٤٤] فضلًا عن الكفاءة التى تجعله قادرًا على حمل أثقال المملكة. ويشير ابن طباطبا[٤٥] إلى صفات الوزير الكفء بقوله " الوزير وسيط بين الملك والرعية فيجب أن يكون فى طبعه شطر يناسب طباع الملوك، وشطر يناسب طباع العوام وليعامل كلًّا من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة والأمانة. والصدق رأس ماله.. والكفاءة والشهامة من صفاته، والفطنة والتيقظ والحزم من ضروریاته..."ومن الوزراء الذين تحلوا بتلك الصفات صاحب الديوان شمس الدين محمد الجوينى، والوزير رشيد الدين بن فضل الله الهمدانى .

على أن هذه الشروط لم تكن تراعى دائمًا من قبل الإيلخانات إذ كثيرًا ما تتغلب عوامل أخرى فى اختيارهم، من ذلك الهدايا الكثيرة والرشاوى التى كان يقدمها الطامعون فى منصب الوزارة إلى الإيلخان كى يفضلهم على غيرهم كما فعل صدر الدين الزنجانى مع كيخاتو خان حيث كان ينافسه فى طلبها طامع آخر هو شمس الدين أحمد لاكوشى .[٤٦] يقول رشيد الدين[٤٧]: "قدم صدر الدين الزنجانى أموالًا طائلة ... ثم التجا إلى " بوراقجين ايكاجى" الذى كان مربيًا لكيخاتو، وكان ذا منزلة كبيرة، وطلب بواسطته الوزارة، وكان (شمس الدين أحمد لاكوشى) يطلب ذلك المنصب أيضًا بواسطة جمع من الأمراء، وقد استطاع صدر الدين بواسطة شرف الدين السمنانى، أن يستميل آقبوقا (أمير الأمراء) إلى جانبه ويجعله حاميًا له، وكان يرضى الجميع بمبالغ من التومانات". وفى السادس من ذي الحجة عام ٦٩١هـ /١٢٩٣م تقرر إسناد

منصب الوزارة إلى صدر الدين الزنجانى، والتمس من حضرة كيخاتو أن يخاطب بلقب" صدر جهان" (أى صدر العالم) وأن يدعى أخاه بلقب "قطب الملك " وحصل على منصب قاضى القضاة لأخيه، كما أسند إليه حكومة تبريز، أما حكومة العراق قد عهد بها ابن عمه قوام الملك [٤٨]

وعندما اعتلى غازان خان عرش الإيلخانية (٦٩٤هـ/٧٠٣٠هـ) (١٢٩٤م/١٣٠٣٠م) ثبت صدر الدين الزنجانى فى منصب الوزارة [٤٩]، لكن ما لبث أن وشى به الأمير نوروز عند السلطان غازان وأخبره أنه يتلاعب بأموال الدولة، فأمر غازان بعزله، وتولية جمال الدين الدستجردانى. ثم ما لبث أن اتهم صدر الدين بتدبير مؤامرة مع بعض الأمراء ضد غازان فقبض عليه، وصدر الأمر بقتله، لكن الأمير "هرقداق" أحد قواد غازان تدخل فى الأمر، واستطاع أن يقنع السلطان ببراءة صدر الدين مما نسب إليه فعفا عنه [٥٠].

أُسند منصب الوزارة مرة أخرى إلى صدر الدين الزنجاني فى المحرم عام ٦٩٦هـ – ١٢٩٦م بعد إقصاء الخواجة جمال الدين الدستجردانى وقتله.[٥١] وعلى أثر ذلك قام صدر الدين بإعداد وليمة كبيرة وقدم هدايا كثيرة للسلطان غازان. يقول عبد المحمد آيتي[٥٢]: "أعد (صدر الدين) وليمة كبيرة جدًا وقدم هدايا كثيرة لم يرَ مثلها أحد من ملوك وسلاطين العصر، فمثلًا قام بتقديم ألف مخصى، أما اللؤلؤ الجذاب والأقمشة المذهبة والحريرية والمجوهرات الثمينة، وأنواع الأوانى الذهبية والفضية والتحف النادرة والثمينة والتي كانوا قد أحضروها من أقصى الصين والهند، فقد كانت لا حصر لها، وتقبلت هداياه وسمح له بالجلوس إلى جوار الملك ...".

ومن أشهر من تعامل بالرشوة واتخذها وسيلة للوصول لكل ما يريد، تاج الدين على شاه الذى استطاع بذكائه وفى فترة وجيزة الوصول إلى البلاط الإيلخانى ثم أصبح وزيرًا فى عهدى اولجايتو وأبى سعيد[٥٣] تقول شيرين بيانى[٥٤]: "وكان يعلم جيدًا أنه يمكن الوصول إلى قلوب السلاطين المغول عن

طريق الهدايا النقدية والعينية من المجوهرات ".

كان على شاه فى أول أمره يعمل بائعًا للجواهر والأمتعة والأقمشة، وعلى الرغم من أنه لم يكن رجلًا مثقفًا، ولم يكن لديه خبرة فى الإدارة والتنظيم إلا أنه كان شديد الدهاء واكتسب خبرة وتجربة من ممارسة التجارة، فصار له إلمامٌ كبيرٌ بشئون المال والأعمال.[٥٥] وعن طريق التجارة استطاع أن يتصل بالأمراء والأعيان، فصار صديقًا لأحد القادة الخمسة الذين كان فى أيديهم زمام الأمور فى عهد أولجايتو وهو الأمير (حسين الكوركانى) الجد الأعلى للجلائريين.[٥٦]

قام الأمير "حسين الكوركانى" بتقديم علي شاه إلى السلطان أولجايتو فأعجب بنشاطه وكفاءته. الأمر الذى أزعج الوزير سعد الدين الساوجى – الذى كان يشغل منصب الوزارة بالمشاركة مع الوزير رشيد الدين بن فضل الله الهمدانى – فأراد أن يبعد هذا المنافس الخطير من القصر بأى ثمن؛ لأنه خشى من قوته ومكانته، فقام بتعيينه مديرًا للكارخانة "دار الصناعة" التى كان مقرها مدينة بغداد.[٥٧]

وجد على شاه فى هذا العمل الجديد فرصة سانحة لإظهار مقدرته وكفاءته فنجح بالفعل فى مهمته نجاحًا منقطع النظير وعندما قام السلطان اولجايتو بزيارة مدينة بغداد قدم له على شاه سفينة خاصة مزينة بالمجوهرات أخذت الأنظار بزخرفتها وضخامتها.[٥٨] وعددًا من الثياب الفاخرة، وبعض الهدايا الثمينة، فسر السلطان لهذه العناية، وشمل علي شاه بعنايته ورفع قدره عن ذى قبل .[٥٩]

صار على شاه ملازمًا للسلطان أولجايتو وكل ما كان يفعله كان يوافق هواه . يقول أبو القاسم القاشانى[٦٠]: "وأى عمل كان يفعله تاج الدين علي شاه كان يلاقى الاستحسان من جانب الملك" وبلغ من احترام السلطان نفسه لعلى شاه وحبه أياه أنه كان يقبل جميع الدعوات التي يوجهها إليه.[٦١] وذات يوم

أقام علي شاه حفلًا كبيرًا للسلطان فى أحد المصانع بمدينة بغداد دعا إليه جميع الأمراء والوزراء والأعيان، وكان حفلًا بالغًا حد الروعة لم يقم مثله شخص قط لسلطان من السلاطين، وأغدق عليهم الهدايا الثمينة[٦٢]. يقول خواندمير[٦٣]: "قدم فى هذا الحفل هدية للسلطان عبارة عن درع مرصع باللآلئ الساطعة، والجواهر الزاهرة يزن أربعة عشر رطلًا، وتاجًا مكللًا عبارة عن قطعة من الياقوت تزن أربعة وعشرين مثقالًا، وكذا تسعة غلمان حسينى الطلعة بأحزمة ذهبية، وتسعة جياد عربية أصيلة أسرجتها وألجمتها كانت جميعها ذهبية".

لم يهتم على شاه بجمع الأموال لنفسه ولم يدخر شيئًا بل كل ما كان يحصل عليه يقدمه للسلطان. وقد وصفت شيرين بياني[٦٤] هذا التصرف بقولها: "وهذا الشخص كان يعرف جيدًا سيكولوجية العصر فلم يهتم أبدًا بجمع الثروة ولم يدخر لنفسه شيئًا". ومن بين تلك الهدايا قصرٌ فخمٌ أقامه أمام قلعة سلطانية ... بابه وجدرانه من الذهب ومرصع باللآلئ، والمجوهرات المتنوعة، وحائطه وأرضيته كلها من الياقوت والزبرجد والكهرمان ومن غاية الحسن والروعة سماه الجنة".

تمكن علي شاه بفضل ما تمتع به من ذكاء وما بذله من الهدايا النفيسة أن يتبوأ منصب الوزارة[٦٥] على الرغم من أنه لم يكن يحسن حتى القراءة والكتابة، ولكنه أحسن الوصول إلى قلب الإيلخان.[٦٦]

فعندما قُتل الوزير سعد الدين الساوجى، وشغر مكانه فى الوزارة أشار رشيد الدين الهمدانى على السلطان بأن يعين على شاه شريكًا له فى الوزارة، وكان يظن أن علي شاه هذا سيظل وزيرًا اسميا فقط، لا ينازعه سلطانه ولا يحاول أن يعترض طريقه.[٦٧] لكن رشيد الدين كان واهمًا فى ظنه فما كان علي شاه إلا سياسيًّا ماكرًا عرف كيف يصمد لرشيد الدين، ويتغلب عليه ويورده مورد الهلاك.[٦٨]

فعندما تولى على شاه الوزارة، ظل على سابق عهده يقيم الحفلات ويغدق الهدايا على السلطان والأمراء والخواتين والقادة.[٦٩] يقول عبد المحمد آيتي[٧٠]:" أقام حفلًا عظيمًا فى حضور السلطان وذلك يوم الثانى والعشرين من ربيع الأول عام ٧١٢هـ/١٣١٢م وكان أول هداياه التى قدمها مصنع الفردوسى، والمدرسة الغياثية، والقصور الشاطئية، ومدرسة السيارة، وخيمة مرصعة بالجواهر وعباءة مطرزة بخطوط الذهب ومرصعة بالجواهر، وتسعة جياد بالسروج والسنابك الذهبية، وألف ثوب استبرق وألف خصى وصب تحت قدميه مائة ألف دينار ذهب كانت في أكياس، وقدم مخطوطًا يفيد بأنها كلها ملك خاص للسلطان، وقدم هداياه أيضًا للخواتين والقادة فإرتفعت بذلك مكانته وفوضت له أمور كثيرة".

على الجانب الآخر حرص بعض الوزراء على طلب الرشوة من أصحاب المصالح قبل قضاء حوائجهم . ومن هؤلاء الوزراء، الوزير سعد الدين الساوجى الذى كان يرى نفسه عظيمًا ومهابًا وأى شخص من أصحاب الأعمال والأشغال يرغب فى مقابلته كان لا بد أن يقدم الرشوة لخمسة وثلاثين شخصًا من النواب والحجاب والمقربين والخاصة حتى ينول شرف لقائه .[٧١]

عُرف سعد الدين بكبريائه وغطرسته فلم يلتفت إلى شكوى الفقراء والمظلومين بل سيطر عليه غروره وغطرسته لدرجة أنه كان يرفض الرد على تحيتهم وكانت لا تنقضي مصلحة لشخص ما إلا عن طريق الرشوة[٧٢]، فيذكر القاشاني[٧٣]:" سلك طريق الغرور والتكبر، وكلما خرج من منزله تجمعت على بابه مجموعة كبيرة من أصحاب الحاجات، وطلاب الأعمال والأشغال من الضعفاء والمساكين فيقوم أتباعه من زبانية جهنم بإبعاد هؤلاء العجزة والمساكين بالهروات والعصى ولو فرض ووصل إليه بعض الأشخاص وسلموا عليه لم يرد عليهم السلام لشدة التكبر والغرور".

ب- حكام الولايات:

لم تسلم ولايات الدولة الإيلخانية من الفساد الإدارى والمالى، حيث تولى حكمها بعض الجهلاء الذين تمكنوا من شراء مناصبهم عن طريق الرشاوى والهدايا الثمينة التي كانوا يقترضون ثمنها بالربا، ويقومون بتقديمها للإيلخانات والأمراء والوزراء للحصول على حكم الولايات.(٧٤) ويؤكد رشيد الدين(٧٥) على ذلك بقوله: "كانوا يأخذون المال بالربا، ويقدمون الهدايا الثمينة، ويتسلمون الحكم فى الولايات، ويصلون إلى مناصب الملوك والسلاطين المشهورين".

انفسح المجال أمام هؤلاء الحكام عقب تنحى عدد من حكام الولايات المشهورين بأصالة النسب والأمانة عن مناصبهم بسبب عجزهم عن تحصيل الأموال المقررة على ولايتهم.(٧٦) أما الحكام الجدد فكانوا يحصلون على مناصبهم فى إدارة مهام الولايات بعد تعهدهم بتحصيل الضرائب عن طريق المقاولة – وذلك أنهم كانوا يقطعون على كل حاكم منهم مبلغًا معينًا- (٧٧) فكان الحكام يستغلون الفرصة ويحصلون الضرائب من الرعية عشر مرات أو أكثر في العام الواحد .(٧٨)

اتصف هؤلاء الحكام بالغلظة وعدم الرحمة بالرعية فكانوا يأخذون منهم أضعاف ما أنفقوه بأى وسيلة ممكنة، وكانوا يستبيحون معهم كل أنواع الترهيب والتعذيب، ويجمعون المال بالظلم والقهر. خاصةً عندما كانت تصل إليهم رُسل الإيلخان لتسلم الأموال المقررة أو لأداء بعض المهام فكانوا يجدون فى قدومهم فرصة سانحة للمطالبة بضرائب جديدة من أجل إقامتهم وبدل سفرهم.(٧٩) وتقديم الهدايا لهم على سبيل الرشوة فى مقابل التغافل عن طريقتهم فى تحصيل الأموال المقررة، أو إعداد تحف وهدايا تقدم للإيلخان والحاشية.(٨٠) يقول رشيد الدين(٨١): "وعندما يجئ رسول إلى الولاية لإنجاز مهمة كلف بها أو للمطالبة بمال أو الحصول على ما يلزم، كان الحاكم يتخذ ذلك ذريعة لتحصيل الضرائب وتقسيمها وفق هواه، فمرة باسم انجازات المهمات، ومرة باسم العلف

والمؤنة، وأخرى باسم التعهدات، وإصابة الملتمسات، وكان ينفق بعضًا منها فى المصالح، ويعطي للشحنة– الشرطة–والكتاب جزءًا منها – كرشوة– ليصيروا أعوانًا وشهود زور له".

والعجيب فى الأمر أن هؤلاء الحكام كانوا يستولون على الجزء الأكبر من هذه الأموال ولا يرسلون للخزانة إلا الجزء اليسير، والأخطر من ذلك كله أن كبار عمال الديوان والوزراء كانوا على علم بهذه الحقائق ولم يتدخلوا لإصلاح تلك المفاسد، بسبب تواطئهم مع هؤلاء الحكام فى السلب والنهب وتمنوا أن يستمر الحال على هذا المنوال من الفوضى لمنافعهم الشخصية .[٨٢] يقول رشيد الدين[٨٣]: "فإن جميع الأمراء والأنجال والخواتين والوزراء والكُتاب والأكابر والأتباع كانوا يرعون هؤلاء المفسدين، وكان لبعضهم ديون عليهم، وكانوا يقبلون الهدايا منهم، وليس هذا فقط بل إن بعضهم صاروا شركاء لهم".

وكان على رأس الوزراء الذين شاركوا فى هذا الفساد، الوزير صدر الدين الجاوى الذى ذكره رشيد الدين[٨٤] بقوله: "كان هذا الأسلوب حرفة" صدر الدين جاوى" وصنعته، فقد اكتسب مهارة فائقة فى ذلك التدليس فأوصل الفساد والجور إلى عنان السماء وألحق الضرر بكل شئون المملكة".

كان لتعسف حكام الولايات مع الرعية أثر كبير فى هروبهم وترك مساكنهم وأملاكهم والجلاء عن أوطانهم.[٨٥] ومن لم يسعفهم حظهم بالخلاص كان هؤلاء الحكام يتعقبونهم ويعيدونهم من منتصف الطريق بكل مذلة ومهانة، أما الذين تضطرهم ظروفهم إلى البقاء فى مدنهم وقراهم فكانوا يقومون بسد أبواب منازلهم بالحجارة، ويلجأون إلى الاختباء فى السراديب، وكان الحكام يستعينون بالأراذل (البلطجية) للقبض على الفارين منهم ويستعملون العنف والشدة لإخراجهم من مخابئهم، وإذا لم يتيسر لهم ذلك كانوا يقبضون على نسائهم وأطفالهم ويسوقونهم كأنهم قطعان أغنام.[٨٦] يقول رشيد الدين[٨٧]: "وعندما يذهب هؤلاء الجباة إلى منازل الرعية كانوا يصطحبون معهم الأشقياء

المحتالين الذين لهم إحاطة تامة بعناوين المساكن، وبإرشاده كان مرافقو الجباة يسحبون الناس من الأزقة والسراديب والحدائق والأماكن الخربة، وإذا لم يستطيعوا إلقاء القبض على الرجال فإنهم كانوا يعتقلون نساءهم ويسوقونهم كقطعان الغنم من محلة إلى أخرى، ويلقون بهم أمام الجباة وكانوا يعلقونهم من أرجلهم". ومن جملة هذه الولايات التى تعرضت لتلك المآسى ولاية يزد التى وصل بها الحال إلى حد أنه إذا تجول شخص فى كل قراها فإنه قطعًا لن يرى فيها مخلوقًا يتحدث إليه أو يسأله عن أحوال الولاية.(٨٨)

موقف غازان من حكام الولايات: لم يرض غازان خان بهذا الفساد المالي وعمل على تنظيم وصول الضرائب، وتقصير أيدى العمال وحكام الولايات الظالمين وكى يؤمن الرعية من تعسف الحكام والجباة،(٨٩) أصدر عدة قرارات منها:

١-أمر بألا يطالب الرعية بدفع الضرائب أكثر من مرة واحدة فى العام، وإذا حاول أحد الجباة تحصيل هذه الضرائب فى غير الأوقات المحددة لها أو يسلك مع الرعية مسلك التعسف والإجحاف بحقوقهم، كان يعرض نفسه لأشد أنواع العقوبات.(٩٠)

٢- أمر بأن تُمسح الأراضى كلها من جديد وأن تتخذ نتائج ذلك القياس فى فرض الضريبة.

٣-أصدر قرار عام (٧٠٣هـ/١٣٠٣م) أمر فيه بأن يحاط الرعايا علمًا بكل ما يتصل بالضرائب عن طريق تعليق البيانات الوافية عند مداخل القرى أو فى المساجد ومعابد اليهود وكنائس النصارى. (٩١)

٤- أرسل إلى كل ولاية مستوفيًا خاصًّا كى يعد كشفًا لعائدات جميع دافعيها من البلاد طبقًا لآخر تحديد حدد لها بالاسم والرسم ويرسل به إلى غازانخان(٩٢). يقول رشيد الدين(٩٣): "عين لكل ولاية كاتبًا يكون ملازمًا هنا للديوان الأعظم وفى أول العام يكتب الحوالات الموجهة حسب ما نص عليه

القانون قرية فقرية مع ذكر الأسماء والتفاصيل الأخرى اللازمة، ثم يؤشر عليه نواب الديوان الأعظم ويؤكدونها بالختم الرسمى للدولة أي الختم الذهبي" التون تمغًا".

٥-قام غازان بمعالجة مشاكل الرُسل الذين كانوا يُرسَلُون إلى الولايات فأمر بأن يكتفى بإيفاد رسول واحد وأن يكون إيفاده لتصريف مصالح الملك الضرورية، وإذا كان يراد إبلاغ السلطان بأخبار هامة فإنه يختار لهذا الغرض الرُسل العدائين وسعاة البريد. كذلك أمر بمنع نزول هؤلاء الرُسل فى مساكن الرعية، وأمر بتشييد دور خاصة لهم على أن تزود بالأدوات اللازمة من فراش وملابس وكل ما يحتاجون إليه، كذلك أصدر مرسومًا يقضى بأن يقيم الحُكام لأنفسهم ولأتباعهم منازل خاصة بهم أو يستأجرونها. (٩٤)

وبهذه الإجراءات التى تمت خلال عامين فقط استقرت الأوضاع فى الولايات ووصلت إلى درجة كبيرة من العمران والازدهار. أما الحكام والجباة الجائرون فقد كف غازان أيديهم نهائيًا عن الظلم والإعتداء فشعر الناس بالأمن ونسوا ما كان يحل بهم من العذاب والمشقة . أما الفارون من السكان الذين كانوا قد نزحوا عن أوطانهم وصاروا مشردين من مدينة إلى أخرى فقد أخذوا فى العودة إلى منازلهم وشعروا بالطمأنينة وراحة البال(٩٥).

ج- **القضاء:** كان القضاء من الأنظمة التى تطرق إليها الخلل وبلغ هذا النظام درجة كبيرة من السوء بحيث انتفت العدالة، وضاعت حقوق الناس، وأصبحوا مهددين فى أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم وأعراضهم.(٩٦)

ويرجع هذا الخلل إلى عجز المغول فى الفترة الأولى من حكمهم لإيران والعراق عن تمييز فئة القضاة عن غيرهم من العلماء. يقول رشيد الدين(٩٧): "من المقطوع به أن المغول لم يكونوا يعرفون كيف يميزون هذه الطبقة عن غيرهم، ولهذا السبب ارتدى الجهلاء والسفهاء الدراعة والعمامة بكل وقاحة وراحوا يلازمون المغول، وسرعان ما نالوا الشهرة، وذلك بأنواع التملق والتزلف

والرشوة، وقد تدخلوا فى شئون القضاء، وتقلدوا المناصب الشرعية، وحصلوا على المرسوم فى هذا المجال".

كان هؤلاء القضاة يشترون مناصبهم بالمال،ثم يتقاضون الرشاوى والهدايا من ذوى الجاه والسلطان فى نظير إصدار الأحكام لصالحهم، وصار المغول أيضًا اعتمادًا على نفوذهم يتدخلون تدخلًا معيبًا فى شئون القضاء، فكان الناس الذين وقع عليهم الظلم لا يجرأون على رفع شكواهم إلى المحاكم.(٩٨) كما شاع تزوير المستندات وتقليد الخطوط .(٩٩) وكثر التلاعب وخربت الذمم فصار يتقدم لأداء الشهادة من لا أمانة لهم ولا دين وهؤلاء لا يتورعون عن الإدلاء بشهاداتهم الممتلئة بالزور والبهتان، وذلك فى سبيل طمس الحقائق وتضليل العدالة، ونتيجة لهذا التراخى والتساهل والإهمال صار بعض القضاة يصدرون حكمين متناقضين فى القضية الواحدة كلاهما مدون فى السجلات .(١٠٠)

ومن أشهر القضايا التى قُدم فيها شهود الزور الذين نالوا الرشوة مقابل شهادتهم: قضية اتهام الوزير رشيد الدين الهمدانى بدس السُّم للسلطان أولجايتو، وقد أُجريت المحاكمة لرشيد الدين وحضرها السلطان أبو سعيد، وكانا شاهدا الإثبات الأميرين "توقناق" و" دلقندى" وكان الوزير على شاه قد غمر هذين الأميرين بالهدايا والرشاوى حتى يشهدا على صحة الواقعة. وعلى أثر هذه المحاكمة أصدر السلطان أمره بقتل الوزير رشيد الدين وابنه عز الدين إبراهيم لأنهما تسببا فى قتل أبيه السلطان أولجايتو. فقتل الابن أولا على مرأى من أبيه ثم تقدم الجلاد وشق رشيد الدين نصفين فى١٧ جمادي الأولى عام ٧١٨هـ/١٣١٨م .(١٠١)

على الرغم من هذا الفساد الذى استشرى فى القضاء إلا أنه كان هناك بعض علماء الدين المشهود لهم بالأمانة، قد تولوا بعض المناصب القضائية، وعندما عجزوا عن الوقوف فى وجه هذا الفساد أرادوا الاستعفاء من مناصبهم

لكن بعض الحكام والوزراء رفضوا ذلك بل قاموا بمساندتهم، وصاروا يثنون عليهم ويمنعون المفسدين من التعرض لهم أو النيل منهم ولهذا السبب بقى بعض العلماء الكبار المشهورين فى مناصب القضاء.[١٠٢]

عندما تولى غازان عرش الإيلخانية اهتم بأنظمة الدولة وإصلاحها، وكان القضاء على رأس تلك الأنظمة التى أولاها عنايته فرأى ضرورة تحري الدقة فى اختيار القضاة نظرًا لعظم المسئولية التى يحملونها .[١٠٣]

حرص غازان أيضًا على أن يكون القاضى بعيدًا عن كل تأثير أو شبهة، وألا يكون عليه رقيبٌ إلا ضميره، ولتحقيق هذا الهدف قرر إعطاء مرتبات مجزية للقضاة لتصون لهم كرامتهم وتبعدهم عن التطلع إلى المغريات الأخرى كالرشاوى والهدايا .[١٠٤] هذا فضلًا عن إعفائهم من الضرائب .[١٠٥]

وحتى لا يقع القضاة تحت تأثير الضغط والتهديد واستغلال النفوذ، حرم على المتقاضين الذهاب إلى بيوت القضاة . وكى يحافظ على كرامة القضاة وتوفير الحماية الكافية لهم فى قاعة الجلسة، كان يعهد إلى الشحنة بتوقيع العقوبة على من يرفع صوته للتشويش على القاضى أثناء انعقاد الجلسة أو محاولة التأثير عليه، كما ألزم القضاة بتنفيذ أحكام الشرع بكل دقة وعليهم أن يمنعوا النظر فى المحاضر المزورة والصكوك والسجلات المموهة[١٠٦]، وإذا حرر القاضى وثيقة جديدة كان عليه أن يجمع الوثائق القديمة ويتلفها في "طاس العدل" وهو عبارة عن إناء مملوء بالماء يُلقى فيه الوثائق الخطية كي تمحى وتتلف .[١٠٧] وأن يكلف القاضى بتعيين أحد الأمناء لكتابة تاريخ العقود ويجب أن يكون لديه دفتر للتسجيل اليومى كى يسجل فيه تاريخ الوثائق ويجب على البائع الذهاب إلى دار القضاء ويثبت ملكيته بالمستندات أو الشهود العدل ثم يبيعها بعد ذلك .[١٠٨]

وبالإضافة إلى ما سبق ألزم غازان القضاة بضرورة مراعاة الدقة المتناهية وشدة الاحتياط فى الاستماع إلى شهادة الشهود التى يترتب عليها صدور الحكم فى القضايا المختلفة .[١٠٩]

كان هدف غازان من وراء إصلاح القضاء وتنقيته من الفساد والرشاوى وشهادة الزور هو أن يقتفى القضاة آثار الحق والعدل، ورفع قدر القضاة وتكريمهم .[١١٠]

ثانيًا: تقديم الرشوة لإنقاذ المختلسين:

اتخذ بعض الوزراء الرشوة وسيلة لإنقاذ أنفسهم من تهمة الاختلاس والتلاعب بأموال الدولة. ومن هؤلاء الوزراء علي شاه الجيلانى الذي شارك الوزير رشيد الدين فى الوزارة، وكان رشيد الدين قد تعمد أن يكون الوزير الذي يشترك معه فى العمل رجلًا جاهلًا مثل على شاه حتى يتمتع بالسلطة المطلقة دون منازع، لكن رشيد الدين كان واهمًا فى اعتقاده، لأن على شاه استطاع اعتمادًا على مكره وحيلته وثرائه وصلته بالأمراء أن يصير وزيرًا لا بالاسم فقط بل بالفعل كذلك .[١١١]

حاول على شاه جاهدًا أن يشرك معه الوزير رشيد الدين فى تسيير دفة الأمور، وأن يوقعا معًا على القوانين الصادرة من السلطان؛ لأنه رأى من المصلحة أن تكون المسئولية مشتركة بينهما، إلا أن رشيد الدين رفض ذلك العرض وقال: "كيف استطيع أن أشترك معك وأنت تدعى الفقر والإفلاس عندما يطلب منك شيء على حين أُرغم على السداد " فلما بلغ السلطان أولجايتو هذا الحديث أسرع وعين "علاء الدين محمد" نائبًا لرشيد الدين، كما عين "عز الدين قوهدى" نائبًا لعلى شاه وذلك لتصريف شئون الدولة تحت رقابة الوزيرين .[١١٢]

وعقب ذلك أصيب رشيد الدين بمرض النقرس وأضطر إلى الاعتكاف فى منزله أربعة أشهر، وبعد ذلك انقطع عن الذهاب إلى الديوان، كما أنه لم يستطع التردد على البلاط. وفى تلك الفترة كانت رُسل الأمير أبي سعيد بن أولجايتو تفد من خراسان دون انقطاع لطلب المال لدفع رواتب الجند، فأمر السلطان أولجايتو وزيره على شاه بتدبير المال اللازم على الفور، لكن على شاه

ادعى بأنه لا يوجد لديه درهم واحد، فلما سأله السلطان عن مصير الأموال التى تحصل من الدخل أجاب قائلًا: إنها عند رشيد الدين.(١١٣)

أمر السلطان أولجايتو بإجراء تحقيق قانوني، وكلف به الأمير جوبان الذي ضم إليه "عز الدين قوهدى" و"علاء الدين محمد" فاستدعى هؤلاء الثلاثة كل وكلاء علي شاه للمثول أمامهم وهم " ظاهر الدين الساوجى" و" فخر الدين أحمد" و" عماد الدين الفلكى". وسألوهم عن دخل الدولة الذى كان فى يدهم تحصيله والتصرف فيه خلال الثلاث سنوات الماضية، وقد أثبت التحقيق إدانة هؤلاء الأتباع بمبلغ ٣٠٠ تومان أي ما يعادل ٣ مليون دينار من الذهب اختلسوها من أموال الدولة .(١١٤)

أثار هذا الحكم هلع رجال على شاه وجزعهم فذهبوا إلى علي شاه وقدموا له شكاياتهم وقالوا له: "إذا لم تجد وسيلة لإلغاء هذا الحكم، فسوف تصاب أعمالنا كلها بالشلل، ويصيبها داء لا علاج له ". فما كان من على شاه إلا أن هرول فى تلك الليلة إلى السلطان، وأختلى به، وبكى أمامه، وتشفع لديه فى ذلة ومسكنة، وأخبره أن الأموال التي يطالب به رجاله قد تسلمتها أنا منهم، والتمس إلى الإيلخان أن يتدخل لإلغاء هذا القرار، فطيب السلطان خاطره وأمر بإيقاف هذا الحكم.(١١٥)

وعنما بدأ "الأمير ايرنجين"– أحد المشرفين على التحقيق – فى صباح اليوم التالى فى تنفيذ الحكم قال السلطان أولجايتو: "علي شاه هذا المسكين الذي يجهل القراءة والكتابة كان قد تسلم هذه المبالغ فى الحقيقة ولكنه استغلها فى أغراض شتى لم يعد يتذكرها الآن كما قال لى، ولذلك أود أن تكون هذه المسألة وكأن لم تكن".(١١٦)

اندهش "الأمير ايرنجين" من حديث السلطان وأبلغه إلى الأمير جوبان، ثم أضاف قائلًا: "كان إذا أراد أحد الفرس أن يتقدم برجاء إلى السلطان فى عهد هولاكو وأباقا، لم يجرؤ على تقديمه إلا إذا كلم فيه من قبل عددًا من

الأمراء، أما اليوم انقلب الأمر رأسًا على عقب حتى أصبح فى وسع أحد الفرس أن يذهب إلى السلطان فى منتصف الليل ويطلب منه مقابلة سرية ليهدم فى لحظة واحدة كل ما فعلناه أو قلناه".[١١٧]

شعر الأمير جوبان بحرج شديد مما سمعه من الأمير ايرنجين ولكن الوزير على شاه عرف كيف يسكته، ويجعله يقف على الحياد فى هذه المسألة وذلك عن طريق الهدايا والرشاوى التى كان يرسلها إلى هذا الأمير. وهكذا مرت العاصفة بسلام واعتبرت المحاكمة نسيًّا منسيًّا وتجاوز علي شاه وأتباعه كل خطر كان يهددهم من وراء هذا الموضوع .[١١٨]

ثالثًا: تقديم الرشاوى للتخلص من المنافسين:

أ- **التخلص من أسرة آل الجوين**[١١٩]: كان صعود نجم صاحب الديوان شمس الدين محمد الجوينى وأولاده فى دولة الإيلخان آباقاخان، وأيضًا ازدياد شهرة أخيه علاء الدين عطا ملك فى إدارة حكومة العراق، وتكدس ثرواتهم، باعثًا على تحريك شعور الغضب وإثارة الحقد والحسد فى نفوس بعض الطامعين[١٢٠]. الذين أرادوا أن يثبوا إلى أعلى المناصب لينالوا السلطة والجاه طفرة واحدة ولكنهم كانوا يرون فى هؤلاء الوزراء عقبة تحول دون تحقيق أطماعهم، لذلك لم يكن أمامهم إلا الدس والتآمر وتخريب الضمائر عن طريق دفع الرشاوى وتقديم الهدايا إلى الإيلخان والحاشية متخذين منهم عونًا للوصول إلى أهدافهم .[١٢١]

كان من بين هؤلاء الطامعين نقيب النقباء "تاج الدين على بن محمد ابن رمضان الحسنى العلوى" المعروف بـ "ابن الطقطقى" الذى كان يمتلك كثيرًا من الأموال والعقارات والضياع[١٢٢] وكان يستأجر قسمًا من الأملاك الخاصة بالديوان فحصل من هذا العمل على ثروة طائلة، وارتفع شانه تدريجيًّا ووصل به الأمر إلى حد أنه كتب رسالة إلى آباقاخان يشير فيها على الإيلخان بعزل عطا ملك من حكومة بغداد.[١٢٣] يقول ابن عتبة [١٢٤]: "وترقى أمره إلى أن

يكتب إلى السلطان آبقا بن هولاكو فى عزل صاحب الديوان وإقامته عوضه ووعده بأموال جزيلة..".

لكن هذه الرسالة وقعت فى يد الوزير شمس الدين الجوينى فأرسل بها إلى أخيه علاء الدين الذي تمكن من التخلص منه واستولى على كل أملاكه وأمواله ودخائره.[١٢٥]

على الرغم من الوسائل التى استعان بها الوزير شمس الدين الجوينى لحماية نفسه إلا أنه لم يستطع أن يخلص من تدبير مجد الملك اليزدى [١٢٦] الذى كان يسعى فى القضاء على نفوذ هذه الأسرة ليستأثر بمنصب صاحب الديوان، فصار يلفق التهم للجوينيين ويحيك ضدهم المؤامرات .[١٢٧]

سنحت الفرصة لمجد الملك اليزدى للوصول إلى الأمير أرغون بن آباقا وحدثه عن خيانة الوزير شمس الدين الچوينى وعبثه بأموال الدولة وقيامه بتقديم الرشاوى للأمراء والمقربين حتى لا تصل أفعاله للإيلخان.[١٢٨] يقول رشيد الدين[١٢٩]: "ذهب مجد الملك إلى حضرة أرغون بواسطة المدعو "إياچى" أحد المقربين إلى هذا الأمير وقال له: "منذ أكثر من عام يريد العبد أن يعرض بعض الأحاديث، إلا أنه لم يستطع عرضه على لسان الأمراء والمقربين، وذلك لأنه كلما بادر بالكلام علم به صاحب الديوان فكان يعطيهم رشاوى كثيرة من أموال الملك لكتمان هذا الكلام، وحيث إنهم يبيعون مصالح الملك بالأنعام والرشوة، وأن الأمير لن يبيع مصلحته فلذلك فكرت الآن وجئت لهذا السبب لأقول للأمير أن أضعاف ما يصل إلى الخزانة من جميع البلاد لا يساوى عوائد أملاك صاحب الديوان التى حصل عليها من أموال الملك، وقد بلغ جحوده وكفرانه بالنعمة إلى درجة اتحاده مع سلاطين مصر واستحوذ أخوه علاء الدين على ممالك بغداد وأعد لنفسه تاجًا مرصعًا لا يليق إلا بالملوك وجمع خزائن لا تحصى ودفائن لا تعد ...".

وأضاف مجد الملك أن شمس الدين حاول استمالته بالرشاوى.[١٣٠] يقول

خواندمير[١٣١]: "ونظرًا لأنه يعلم أننى أقف على عيوبه، فها هو منشور أصدره بإسمى لتولى ضبط أموال ولاية سيواس –إحدى مدن بلاد الروم–، كما أنه بعث إلىَّ مبلغًا من المال كرشوة ".

قام الأمير أرغون بتبليغ أبيه بهذه المعلومات، وعقب ذلك تمكن مجد الملك من المثول بين يدي آباقاخان وأعاد على مسامعه ما سبق فغضب الإيلخان على الوزير شمس الدين وأوفد الرسل إلى مختلف البلاد لاعتقال نوابه وإحضارهم مع سجلاتهم لإجراء تحقيق دقيق فى حضرته.[١٣٢]

وعندما شعر شمس الدين بخطورة الموقف لم يجد مفرًا من أن يلجأ إلى "أولچاى خاتون" زوجة هولاكو خان فتشفعت له وذلك بعد أن كتب وثيقة يعترف فيها بأن كل الأملاك التي اشتراها خلال تقلده منصب الوزارة إنما هي حق وملك الإيلخان، وقد نجحت تلك الوساطة وأنقذ شمس الدين من تلك الورطة[١٣٣]

أما مجد الملك فقد شملته عناية السلطان آباقاخان . يقول ميرخوند[١٣٤]: "استقرت أقوال مجد الملك فى نفس السلطان فلاطفه وخصه بالعناية الزائدة وأعطاه الكأس بيده وخصه بخلعة وسأله عن أحوال كل الولايات فأجابه مجد الملك بطريقة جذبت انتباهه ..." وعلى أثر ذلك أصدر له مرسومًا بالإشراف على أموال السلطنة ومراجعة أموال السنوات الماضية على أن لا يتدخل فى عمله أحد قط من الأمراء أو المقربين. وفى الوقت نفسه يكون شريكًا لشمس الدين الچوينى فى تصريف شئون المملكة .[١٣٥]

لما رأى مجد الملك أن مكائده لن تؤثر على صاحب الديوان، تحول إلى أخيه علاء الدين عطا ملك، فصار يحرض مرءوسيه وعماله ويحثهم على التمرد عليه بل استطاع أن يحرض عليه نوابه أنفسهم وبخاصة نائبه مجد الدين ابن الأثير. وذلك بواسطة الرشاوى والهبات التى كان يغدقها عليهم فصاروا يكيدون له ويخاطبونه فى غلظة وفظاظة، ويتهمونه بالاختلاس.[١٣٦] يقول

رشيد الدين[١٣٧]: "ولما رأى مجد الملك أن مكائده لن تؤثر فى صاحب الديوان تحول إلى أخيه علاء الدين، وشرع يكيد له بكل وسيلة حتى صدر الأمر باعتقاله وقد جلس نائبه مجد الدين بن الأثير أمامه يقول: "أن لك فى الموضع الفلانى كذا وكذا، وعندما شاهد الصاحب شمس الدين خطورة الموقف أرسل إلى أخيه يقول: "لا تنكر شيئاَ قط حتى لا يلحق بك أذى ...".

قَبِلَ علاء الدين دفع ثلاثمائة تومان، وعلى الرغم من ضخامة المبلغ فإن أعداءه المنافسين لم يرضوا به وعُذِّب بمختلف الطرق حتى اضطروه إلى بيع كل ما كان يحتفظ به[١٣٨] يقول ابن الفوطى[١٣٩]: "وقبض السلطان على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه وأتباعه، وسلم إلي الصاحب مجد الملك فاستوفى منه أموالًا كثيرة، وبيع من أملاكه وأسبابه جملة طائلة،.... وألقى تحت دار "المسناة" التى بأعلى بغداد على شاطئ دجلة، مكتوفًا عليه قميص واحد، وكان البرد شديدًا جدًا وضُرِبَ خواصه وخدمه وأتباعه، واستوفيت الأموال منهم ".

لم يكتف أعداء عطا ملك بهذا التعذيب، بل انتهزوا فرصة الخصومة التى كانت على أشدها بين المغول والمماليك وأتهموا عطا ملك بالتواطؤ مع الحكام المسلمين فى مصر والشام فى سبيل القضاء على دولة المغول [١٤٠]. يقول خواندمير[١٤١]: "ولم يكتف المعارضون بكل هذه الأمور واتهموا علاء الدين بمصاحبة حكام مصر والشام والولاء لهم وبهذه التهمة لحق الذل بذلك العزيز ..." لكن الرسل والشهود برأوا ساحته، وشهدوا جميعًا فى صالحه .[١٤٢]

أرسل آباقاخان مبعوثًا من قبله لاستدعاء علاء الدين الچوينى من بغداد وعندما وصل رسول الخان خشى المعارضون من إطلاق سراحه فتثبت عليهم تلك الإفتراءات فقاموا بتقديم الرشاوى له حتى يترك الصاحب علاء الدين فى محبسه [١٤٣] وبعد شهر تقريبًا أرسلوه مقيدًا وعندما وصل إلى ممر أسد أباد وصل جماعة من خواص السلطان وقرروا أن الإيلخان بعد أن وقف على

تزوير الحساد قرر العفو عنه وإجزال العطاء له.[١٤٤] لكن بالرغم من ذلك لم يتم إطلاق سراح الصاحب علاء الدين من محبسه لوفاة آباقاخان فى نفس اليوم الذي أصدر فيه قرار العفو. يقول عبد المحمد آيتي[١٤٥]: "علم الأعداء أن آباقاخان مرض فى همدان ورحل عن الدنيا، فمنعوا الصاحب من دخول المعسكر، وقالوا ليس من المصلحة إطلاق سراحه لحين جلوس خان آخر على العرش، فظل هكذا فى محبسه"، وعقب جلوس تكودار على عرش الإيلخانية أمر بفك قيوده وأعاده إلى منصبه .[١٤٦] أما مجد الملك اليزدى فقد ثبتت عليه بعض التهم وتم قتله [١٤٧] ومزق جسده إربًا ووزعت على الولايات .[١٤٨]

ب- التخلص من الوزير رشيد الدين الهمدانى: وقع اختيار السلطان غازان خان على رشيد الدين الهمدانى لتولي منصب الوزارة عقب مقتل الوزير صدر الدين الزنجانى، وقد رأى الإيلخان ألا يترك رشيد الدين بمفرده فى الوزارة فأشرك معه رجلًا من أهل (ساوة) هو سعد الدين محمد الساوجى[١٤٩] وكان سعد الدين ورشيد الدين صديقين حميمين يعملان فى الوزارة معًا.[١٥٠]

لما توفى غازان خان وإعتلى عرش الإيلخانية السلطان أولجايتو أبقى تدبير شئون الوزارة وإدارة مصالح الجيش والرعية فى أيدى الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين واستمرت تلك الحال من التوافق والتآلف نحو ١٣ عامًا[١٥١] .يقول خواندمير[١٥٢]: "وطوال الفترة التى كان الوزير سعد الدين متفقًا فيها مع الوزير رشيد الدين ظلت مكانته ومرتبته مصونة ومحفوظة من النقص والزوال". لكن فى سنة ٧١١هـ/١٣١١م بدأ سعد الدين يفقد الثقة التى كان يتمتع بها فى بلاط أولجايتو واتسعت هوة الشقاق بين الوزيرين وانقلبت الصداقة إلى عداوة شديدة ووقع بين السيدين صدر الدين، ورشيد الدين نزاع ووحشة ونفور[١٥٣]. يقول خواندمير [١٥٤]: "ولما تبدلت تلك الموافقة بالمخالفة، قام الوزير سعد الدين بتحريض تاج الدين الأوجى وجماعة أخرى من نوابه بالكيد للوزير رشيد الدين، وتقاضوا مقابل ذلك خمسمائة تومان (رشوة). وعقب ذلك طلب السلطان

التحقيق مع الوزير سعد الدين وتلك الجماعة، وبعد أن ثبتت عليهم تلك الجرائم أمر السلطان بالقضاء على الوزير سعد الدين وجماعة المدبرين،وتم تحصيل مبلغ الخمسمائة تومان، التي كانوا قد تقاضوها من ممتلكاتهم، وتم القضاء على تلك الفتنة بفضل السياسة السلطانية الحكيمة".

عندما قتل الوزير سعد الدين وشغر مكانه فى الوزارة، أشار رشيد الدين على السلطان أن يعين علي شاه شريكًا له فى الوزارة وكان يظن أن علي شاه هذا سوف يكون وزيرًا اسميًا فقط لا ينازعه في السلطة، ولا يحاول أن يعترض طريقه، لكن رشيد الدين كان واهمًا ومخدوعًا، ذلك أن علي شاه استطاع اعتمادًا على صلته بالسلطان والأمراء أن يصير الوزير الحقيقي للدولة(١٥٥).

كان السلطان أولجايتو ينظر إليه نظرة اعتزاز واحترام وصار يعتمد عليه اعتمادًا كليًّا فى تصريف شئون الدولة فارتفعت اسهمه وعلا شأنه وصار بيده الحل والعقد ولم يكتف علي شاه بذلك بل دأب فى تدبير الاتهامات ضد رشيد الدين حتى تركت أثرها فى نفس السلطان أولجايتو، وجعلته يتغير على رشيد الدين(١٥٦).

كان رشيد الدين على علم بكل ما يدبر له فى الخفاء، ولكنه لم يرَ علاجًا لهذه الحالة سوى توطيد العلاقة بالأمير توقماق(١٥٧) فكان يستميله بالهدايا الثمينة، ولم يكن هذا الأمير على وفاق مع علي شاه إذ كان يعتبره دخيلًا اغتصب منصب الوزارة وسد الطريق على نائبه وكان يطمع فى أن يوليه هذا المنصب على أثر مقتل الوزير سعد الدين، وقد استطاع هذا الأمير بنفوذه أن يحد من غلواء على شاه(١٥٨) وبفضل وساطة الأمير "توقماق" أصدر السلطان أمره إلى الوزيرين بإصلاح ذات بينهما وأن يعيشا فى وفاق فأطاعا الوزيران ونفذا ما أراده السلطان من حيث المظهر.(١٥٩)

عندما تولى السلطان أبو سعيد بهادرخان عرش الإيلخانية خلفًا لوالده

كان أول أمر أصدره هو أن يستمر رشيد الدين وعلى شاه فى منصب الوزارة يصرفان أمور الدولة [١٦٠]. ولكن هذه المرة عهد إلى على شاه بالإشراف على مهام جسام لا تنحصر فقط فى الشئون المالية، بل تتعداها إلى الإشراف على المبانى العامة والقصور السلطانية والاصطبلات والترسانات، وكان معنى ذلك الحط أدبيًا من شأن رشيد الدين.[١٦١]

ويبدو أن رشيد الدين عندما رأى الأمور تجري على هذا المنوال صار زاهدًا فى تولى هذا المنصب، وإذا كان يطمع فى شيء فهو أن يكون بمنآى عن الدسائس والمؤامرات لذلك صار يتخذ كل الاحتياطات التي يراها كفيلة لتجنب كيد أعدائه[١٦٢]. والواقع أنه لم يكن من الممكن أن يعيش الوزيران رشيد الدين وعلى شاه فى صفاء فسرعان ما دب الخلاف بينهما من جديد؛ لأن علي شاه رأى خصمه رشيد الدين على علاقة طيبة بالأمير جوبان[١٦٣] يقول حافظ أبرو[١٦٤]: "كان خواجة رشيد الدين والأمير جوبان تجمعهما الصداقة القوية ولما وصلت السلطنة إلى الأمير أبى سعيد تجدد بينهما العهد والميثاق فخاف خواجة تاج الدين عليشاه من هذه العلاقة حيث إن الأمير جوبان كان له تأثير على السلطان أبى سعيد بل إنه كان يتمتع بنفوذ كبير فى الدولة". وليس هذا فحسب بل إن رشيد الدين استطاع كذلك أن يضم إلى جانبه الأمير سونج. وهذا الوضع بلا شك أقلق على شاه وأفزعه لأنه كان يعلم أن جوبان وسونج قطبان كبيران يمثلان أعظم شخصيتين فى الدولة بعد أبي سعيد[١٦٥].

ولما كان علي شاه مطلعًا على هذه الحقائق، خشي على نفسه من هذه العُصبة، وأيقن أنه إذا أغفل عن خصمه، فسوف يكون موقفه محفوفًا بالمخاطر،لهذا راح يلتمس المثالب لرشيد الدين.[١٦٦] يقول حافظ أبرو[١٦٧]: "فأخذ الخواجة على شاه يفكر ويخطط ليلًا ونهارًا كيف يوقع رشيد الدين فى الخطأ وينقص من قدره ". لذلك كان يحاول أن يجد ثغرة ينفذ منها إلى خصمه للتشنيع عليه ولينسب إليه الإهمال والتقصير.[١٦٨]

هكذا كانت الهوة التى تفصل بين الوزيرين تزداد يومًا بعد يوم وكان لا بد أن يتأثر عمال الديوان من مرءوسى الوزيرين بذلك الوضع الشاذ، وفى الحقيقة كان الأمر شاقًا عسيرًا عليهم إذا انضموا لهذا الطرف فإنهم يتعرضون لسخط الاخر.(١٦٩) يقول حافظ أبرو(١٧٠):" إذا ذهب أصحاب الديوان عند أحدهما استاء الآخر فضاق الأمر عليهم بسبب هذا الصراع " فبقوا متحيرين مترددين إلى أى الفريقين ينضمون، حتى ملوا ذلك النزاع فقرروا الإنضمام إلى رشيد الدين.(١٧١)يقول حافظ أبرو(١٧٢): "وذات يوم حضر عند الخواجه رشيد الدين الخواجة ضياء الدين بن ضياء الملك، والخواجة عز الدين قوهدى والخواجه علاء الدين هندو، والخواجه علاء الدين محمد، وقالوا له لو تأذن لنا أن نسعى فى صد خواجه عليشاه ونثبت عليه الاختلاسات والخيانة، فرد عليهم خواجه رشيد الدين بعد تفكير عميق وقال إنه رجل عظيم ولا ينبغى المساس به، وأنا سوف أنصحه حتى يسترضيكم...."

لم يرض هؤلاء الأمراء عن رأى رشيد الدين وانقلبوا أعداء يعملون ضده، وعقب انصرافهم من حضرته تشاوروا فى الأمر وخلصوا أن رشيد الدين رجل غير عملى وسوف لا يوافق على عمل شيء مما اتفقوا عليه، بل خشوا أن يذهب إلى علي شاه ويطلعه على نواياهم فيحقد عليهم ويناصبهم العداء، وللخروج من هذا المأزق أسرعوا إلى على شاه وأبدوا استعدادهم للعمل ضد رشيد الدين.(١٧٣) يقول حافظ أبرو(١٧٤): "وذهبوا واتفقوا مع خواجة عليشاه فأعطاهم رشوة كبيرة حتى يوغروا صدر الأمراء من ناحية رشيد الدين".

من ناحية أخرى كان علي شاه يعمل من جانبه على الإيقاع بين رشيد الدين وبين الأمير جوبان، فوجد أن خير وسيلة لبلوغ هذه الغاية هى أن يؤثر أحد كبار حاشية هذا الأمير واسمه "أبو بكر آقا" بالهدايا الثمينة والرشاوى الكبيرة على أن تكون مهمته إفساد العلاقات بين رشيد الدين وبين الأمير جوبان، فكان هذا يوشى برشيد الدين دائمًا عند الأمير ويحيك الدسائس

والاتهامات كل يوم. حتى انتهى الأمر بعزل خواجة رشيد الدين من الديوان، وكان هذا فى أواخر رجب عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧م. وبعد عزله ذهب من السلطانية إلى ناحية تبريز.[١٧٥]

وبعد انقضاء ما يقرب من ستة أشهر على هذه القضية، طلب الامير جوبان رشيد الدين وقال له: "أن وجودك فى بلاط السلطان مطلوب ولازم لزوم الملح للطعام، وتدبير شئون الجيش والرعية بدون الاستعانة برأيك الصائب إنما هو تدبير خاطئ ولا بد لك أن تعود مرة أخرى إلى الخدمة وتقوم بالبت فى أعمال السلطنة"، فأجاب رشيد الدين قائلًا: "لقد قضيت أيام عمرى فى الخدمة"، وقد ولى شبابى الآن وبدأت أستقبل أيام الشيب، وانتهى عهد الشباب، وعهد التطلع إلى العظمة والسعادة...."[١٧٦]

على الرغم مما أبداه رشيد الدين من الإعتذار إلا أن الامير جوبان صمم على تكليفه بقبول منصب الوزارة.[١٧٧] لأنه رأى أن الإدارة قد اختلت أمورها، وأصبحت فى حاجة ماسة إلى إصلاح سريع ينقذها من الارتباك الذي تسبب فيه الآخرون.[١٧٨] فرضى رشيد الدين فى النهاية، وبقبوله الوزارة كتب على نفسه الهلاك[١٧٩]. فعندما علم الخواجة علي شاه وأصحاب الديوان بهذا الأمر فزعوا فزعًا شديدًا وأشعلوا نار العداوة من جديد وآجزلوا العطاء والرشاوى لحاشية الامراء[١٨٠] فشرعوا فى تدبير الدسائس والمؤامرات الكفيلة بأن تقضى على عدوهم هذه المرة.[١٨١] يقول حافظ أبرو: "[١٨٢] عندما علم الخواجة علي شاه وأصحاب الديوان بهذا الأمر حدث اضطراب شديد بينهم فأشعلوا نار العداوة من جديد وقدموا الرشاوى وأجزلوا العطاء لحاشية الأمراء". وكان فى مقدمة هؤلاء "أبو بكر آقا"، الذى رأيناه سابقًا على رأس حاشية الأمير جوبان، وسرعان ما لبى هذا الرجل الشرير طلبهم ووعدهم بأن يحرض الأمير جوبان على رشيد الدين ويجعله يفقد عطفه نهائيًا[١٨٣].

وبعد أن افسدوا الضمائر واستمالوا الامراء وأتباعهم إلى جانبهم، وسدوا

كل المنافذ على عدوهم، وتأكدوا أن الفرصة أصبحت مهيأة ليضربوا ضربتهم القاتلة، وجهوا اتهامًا للخواجة رشيد الدين بأنه دس السم للسلطان أولجايتو[١٨٤]. يقول خواندمير[١٨٥]: "إن ابراهيم بن رشيد الدين– وكان ساقيًا للسلطان أولجايتو– قد دس السم للسلطان بتحريض والده، وقد توفى السلطان محمد خدابنده بسبب ذلك! ونقل الامير جوبان هذا الحديث للسلطان أبي سعيد بهادرخان " ...

فزع السلطان أبو سعيد بهادرخان عند سماعه بهذا الخبر وغضب غضبًا شديدًا، وأسرع فى استدعاء رشيد الدين، وأمر بمحاكمته على الفور وأسند هذه المهمة إلى الأمير جوبان، وأجريت المحاكمة وكان شاهدا الإثبات الأميرين "توقناق" و"دلقندى"[١٨٦] وكان علي شاه قد غمر هذين الأميرين بالهدايا والرشاوى حتى يشهدا على صحة الواقعة، وعلى أثر انتهاء المحاكمة أصدر السلطان أمره بقتل رشيد الدين وابنه عز الدين إبراهيم لأنهما تسببا فى قتل أبيه السلطان أولجايتو.[١٨٧] واقتيد رشيد الدين وابنه إلى قرية صغيرة تدعى "خشكدر"– التى تقع بالقرب من تبريز– فقتل إبراهيم أولا على مرآى من أبيه، وكان شابًا لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وكان يجمع بين جمال الخلقة، وطهارة النفس ونبل الخلق[١٨٨]، وبعد أن شاهد رشيد الدين موت ولده وفى اللحظة التى كان فيها على وشك الموت، كلف أحد الحاضرين بأن يقول لعلى شاه من قِبله، "ها آنذاك أموت بريئًا ضحية لاتهاماتك الكاذبة وسيأتى يوم تطالبك فيه العناية بحساب إعدامي". ولم يكد ينتهى من هذه الكلمات حتى كان حاجى دلقندى قد شطر جسده شطرين. [١٨٩] وكان ذلك فى السابع عشر من شهر ذي الحجة عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م. وعقب ذلك قام زبانية المغول بتمزيق جسده [١٩٠].

وإذا كان رشيد الدين قد راح ضحية الغدر والتآمر فإن القدر كان لمن اشترك فى مؤامرة قتله بالمرصاد.[١٩١] كان علي شاه أسعد الناس بما أحرزه

على عدوه اللدود الوزير رشيد الدين، ولم يستطع أن يخفى شعوره هذا، بل كان يعبر عن غطبته بما كان يغدقه على أصحابه من الأموال والهدايا بغير حساب، حتى الكعبة المشرفة كان لها نصيب من تلك الهدايا الثمينة [١٩٢]، بعثها مع الحاجي "بولودادج" فى سنة ٧١٨ هـ/ ١٣١٨ م. وعندما أراد تعليق هذه الهدايا بباب الكعبة منعه من ذلك أمير الركب المصري – وهو الناصر محمد بن قلاوون – فقال الحاج " بولودادج" إن الوزير على شاه كان قد نذر متى ظفر بخواجة رشيد الدين وقتله أن يعلق على باب الكعبة حلقتين، فيقال أنه أذن له فى تعليقهما زمنا قليلاً ، ثم رفعتا، وأخذهما أمير مكة. [١٩٣] واذا كان علي شاه قد نجا من هذا المصير المحتوم الذي لاقاه كل الوزراء الإيلخانيين، فليس معنى ذلك إنه نجا تمامًا من المؤامرات والدسائس[١٩٤] إذ تعرض هو الآخر لكثير من الاتهامات، ولكنه كان ماهرًا عرف كيف يسكتهم عن طريق الهدايا والرشاوى، فمثلًا استطاع أن يضم الامير جوبان إلى جانبه بما كان يغدقه عليه من الأموال والهدايا، وذلك لأنه رأى ان أطماع ذلك الأمير لا تقف عند حد فأراد أن يتجنب خطره وخطر حاشيته، ويقال أن على شاه قبيل وفاته أعطى جوبان عشرين ألف قطعة من الذهب ليضع حدًّا لادعاءاته المتزايدة[١٩٥].

الخاتمة:

- عُرف عن إيلخانات المغول وأمرائهم حبهم الشديد لجمع الأموال بكافة الطرق. لذلك قاموا بعد إحكام سيطرتهم على إيران والعراق باختيار ذوى الخبرة فى الشئون الإدارية والمالية وألحقوهم بخدمتهم .
- *حرص سلاطين المغول على إقامة الاحتفالات وتوزيع الهدايا على نسائهم وحاشيتهم فى مراسم التتويج، كما قاموا بمكافأة الأمراء الذين ساندوهم فى الوصول إلى سُدة الحكم، وقد استطاب أمراء المغول هذا التدخل لما كانوا يحصلون عليه من امتيازات ونفوذ فى الدولة الإيلخانية .

- *أغدق إيلخانات المغول على أقاربهم ووزرائهم الكثير من الهدايا والهبات، ولم يكن وزراؤهم أقل منهم كرمًا وسخاءً فكانوا على شاكلة سلاطينهم يبذلون الكثير، ويسلكون طريق الاسراف والبذخ. الأمر الذى أدى إلى اضطراب الأحوال المالية وخواء الخزانة فى بعض الأحيان .
- *كان السلاطين الإيلخانيون يطلبون من وزرائهم تدبير الأموال فى أى وقت شاءوا، وعلى الوزراء السمع والطاعة، وكان الوزراء يعرفون ذلك جيدًا فلم يكونوا يدخرون وسعًا فى تلبية طلباتهم وتقديم الهدايا لهم فى شتى المناسبات، بل أدى بهم الأمر إلى دفع الرشاوى للأمراء لإسكات المناوئين منهم لسياستهم. وإذا تلكأ أحد الوزراء عن تدبير الأموال المطلوبة كانت تقع عليه الطامة الكبرى ويرمى بالعجز والتقصير، ويتهم بالاختلاس والتبديد، ثم يساق إلى المقصلة .
- *انتشرت الرشوة بشكل كبير فى الدولة الإيلخانية، وتعامل بها صغار الموظفين، وكبار الامراء وصاحب الديوان .
- *اتحذت الرشوة وسيلة للوصول إلى المناصب العليا فى الدولة وذلك عن طريق إرضاء الإيلخان وكبار الأمراء. ومن المناصب التى تعرضت للشراء الوزارة. حيث تولاها بعض الطامعين الذين تمكنوا بالهدايا والرشاوى من التغلب على منافسيهم والحصول على مساندة الإيلخانات وكبار الأمراء .
- *لم تسلم ولايات الدولة الإيلخانية من الفساد الإدارى والمالى حيث تولى حكمها بعض الجهلاء الذين تمكنوا من شراء مناصبهم عن طريق الهدايا الثمينة والرشاوى التى كانوا يقترضون أموالها بالربا، وكان يحصلون على حكم الولايات فى مقابل تعهدهم بتحصيل الضرائب من الرعية عشر مرات فى العام الواحد. الأمر الذى أدى إلى تذمر الناس وهجرهم لأراضيهم. وعندما تولى غازان خان عرش الإيلخانية لم يرض بهذا الفساد وقام بتقصير أيدى الحكام وجباة الضرائب ورفع الظلم عن الرعية.

- كان القضاء من الأنظمة التى تطرق إليها الخلل وبلغ هذا النظام درجة كبيرة من السوء حيث اختفت العدالة، وضاعت حقوق الناس، وذلك لما أقبل عليه بعض القضاة من شراء مناصبهم وقبول الرشاوى والهدايا من ذوى الجاه والسلطان فى نظير إصدار الأحكام لصالحهم. لكن غازان خان اهتم بإصلاح القضاء وكان هدفه من الإصلاح هو تنقية القضاء من الفساد والرشاوى وشهادة الزور، وأن يقتفى القضاة سبيل الحق والعدل.
- حرص بعض موظفى الدولة الإيلخانية المسئولين عن الشئون المالية على تقديم الرشاوى لكبار الأمراء المغول كى يساندوهم فى إنقاذ أنفسهم من بعض الجرائم التى ارتكبوها ومنها الاختلاسات والتلاعب فى أموال الدولة والتي كانت تعد من الجرائم الشنيعة التى تؤدي بمرتكبيها إلى القتل والمصادرة .
- على الرغم من المكانة المرموقة التى كان يتمتع بها وزراء الدولة الإيلخانية إلا أن مركزهم ظل دائمًا محفوفًا بالمخاطر، فكانت تحاك ضدهم المؤامرات والدسائس من جانب الطامعين الذين قاموا بدفع الرشاوى لإثبات التهم عليهم. وكان يستحيل على الوزراء إرضاء كل معارضيهم لذلك تعرضوا للقتل، وكان هذا هو المصير المحتوم الذى لاقاه أغلب وزراء الدولة الإيلخانية.
- لا شك أن تلك الأوضاع كانت كفيلة بأن تجعل السقوط النهائى للدولة الإيلخانية أمرًا لا يمكن تجنبه.

الهوامش:-

(١) فؤاد عبد المعطي الصياد: مؤرخ المغول الكبير " رشيد الدين فضل الله الهمدانى"، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧م ص١١٦.

(٢) نفس المرجع، ص١١٦.

(٣) هاشم رجب زاده: أئين كشور دارى در عهد وزارات رشيد الدين فضل الله الهمدانى، انتشارات دانشكاه تهران،٢٥٣٥ شاهنشاى،ص١٨٦.

(٤) الإسراف: (لغة): السَّرف والإسَّرافُ: مجاوزة القصد، وأسرف فى ماله عَجِل من غير قصد.

انظر ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد الأفريقي المصرى): لسان العرب، ج٩، دار صادر بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ، ص١٤٨.

الإسراف (إصطلاحًا): هو إنفاق المال الكثير فى الغرض الخسيس، وقيل الإسراف: هو صرف شيء فيما ينبغي زيادة على ما ينبغى بخلاف التبذير فإنه سرف الشيء فيما لا ينبغي.

انظر: (محمد بن على ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقى ت١١٥٨هـ): موسوعة كشاف مصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق على دحروج، ج١، ط١، بيروت ١٩٦٦م، ص١٧٦.

وذُكِرَ أيضًا أن (البذل) هو الإعطاء عن طيب نفس . انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٥٢.

(٥) فرض المغول العديد من الضرائب التى أرهقت الرعية مما أدى إلى هروبهم فأغلقت الدكاكين والأسواق وقام الجباة بمطالبة النساء بما قرر على رجالهن. انظر عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج١، حكومة المغول، بغداد ١٩٣٥م، ص ٢٨٩.

(٦) أمل محمد حلقها: من تاريخ المغول (الأزمات الإقتصادية فى عصر الدولة الإيلخانية)، القاهرة ٢٠١٦م، ص١٤٥.

(٧) تاريخ چهان كشاى، بسعى واهتمام محمد عبد الوهاب القزوينى، مج٢، بريل در ليدن، ١٩١١م، ص٣٦٩.

(٨) فؤاد عبد المعطى الصياد: الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، الدوحة ١٩٨٧م، ص٣٥.

(٩) رشيد الدين فضل الله الهمدانى: جامع التواريخ، مج٢، ج٢ ترجمة محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوى، فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة يحيي الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، ص١١.

(١٠) البناكتي (فخر الدين أبو سليمان داوود): روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب، به كوشش دكتر جعفر شعار، سلسلة انتشارات انجمن أثار ملى، تهران ١٣٤٨هـ. ش، ص٤٣٨ .

(١١) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٢٠٩.

(١٢) تحرير تاريخ وصاف، انتشارات بنياد فرهنك إيران،١٣٤٦هـ.ش، ص ص١٦٠،١٥٩

(١٣) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٢٠٩.

(١٤) خواندمير (غياث الدين محمد بن همام): حبيب السير فى أخبار أفراد بشر، جلد سوم، انتشارات كتابخانة خيام ١٣٣٣هـ.ش، ص١٣٧.

(١٥) محمد صالح داوود القزاز:الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء بالنجف الاشرف ١٩٦٨، ص١٩٨ .

(١٦) رشيد الدين:جامع التواريخ،مج٢،ج٢، الترجمة العربية، ص ٩١.

(١٧) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ١٢٢.

(١٨) جامع التواريخ، مج٢، ج ٢،ص ص ٩٢،٩١.

(١٩) آلاتاغ: مدينة تقع شمال اذربيجان وشرق أرمينية، انظر: بارتولد: تذكرة جغرافياى تاريخى ايران، ترجمة حمزة سردادور، طهران١٣٠٨هـ.ش، ص٢٧٠.

(٢٠) رشيد الدين: جامع التواريخ، مج٢،ج٢، ص٩٢.

– محمد أحمد محمد: إسلام الإيلخانيين، شركة الصفا للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٨٩م، ص٥٩.

(٢١) عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٠، ص٤٥٠.

(٢٢) روضة أولى الالباب فى معرفة التواريخ والانساب، ص٤٢٥.

(٢٣) صالح داوود القزاز: الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية، ص١٩٨.

(٢٤) نفس المرجع، ص١٩٨.

(٢٥) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١٣٧.

(٢٦) صالح داوود القزاز: الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية، ص١٩٨، ١٩٩.

(٢٧) خواندمير: حبيب السير، جلدسوم، ص١٢٧.

–عباس اقبال: تاريخ ايران بعد الإسلام، الترجمة العربية، ص٤٥٣.

(٢٨) عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، دار نشر إقبال، طهران ١٣٧٢ هـ. ش، ص٣٢٢.

(٢٩) جامع التواريخ،مج٢،ج٢،ص ١٢٨.

(٣٠) حمد الله مستوفي قزوينى: تاريخ كزيده، بسعى واهتمام ادوارد براون، لندن ١٩١٠م، ص٥٦٨.

– خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٢٧.

(٣١) أمل محمد حلقها: من تاريخ المغول، ص١٤٦.

(٣٢) جامع التواريخ، مج٢، ج٢،ص ص١٦،١٧.

(٣٣) أمل محمد حلقها: من تاريخ المغول، ص١٤٦.

(٣٤) جامع التواريخ: مج٢،ج٢، ص٩٥.

(٣٥) مقدمة كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمدانى، مج٢، ج ١، ص٢٥.

(٣٦) ناصر الدين منشي كرمانى: نسائم الأسحار من لطائم الأخبار، در تاريخ وزرا، بتصحيح ومقدمة وتعليق مير جلال الدين حسيني أرموي، انتشارات دانشكاه تهران، د.ت، ص ص١٠٩،١١٠.

(٣٧) دستور الوزراء، ترجمة أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ص٣٦٦.

(٣٨) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، س٢١١.

(٣٩) عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص١٢٣.

– ادوارد براون: أز سعدى تاجامى، ترجمة على أصغر حكمت، طهران١٩٤٨، ص٤٠.

(٤٠) الرشوة (لغة): الرشوة: مثلثة: الجعل . الجمع: رُشا ورِيشا . ورشاه: أعطاه إياه، وارتشى: أخذها، واسترشى: طلبها.

انظر: الفيروز أبادى (مجد الدين أبو طاهر محمد ابن يعقوب ت ٨١٧هـ): القاموس

المحيط، تحقيق مؤسسة الرسالة، ط ٨، بيروت – لبنان ٢٠٠٥م، ص ١٢٨٨.

الرشوة (اصطلاحا): الرِشوة بالكسر ما يعطيه الشخص للحاكم وغيره ليَحْكم له أو يحمله على ما يريد وجمعها رِشا .

انظر: أبو العباس (أحمد ابن محمد بن على الفيومى ت٧٧٠هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج١، المكتبة العلمية، بيروت (د.ت، ص٢٢٨).

(٤١) أمل حلقها: من تاريخ المغول، ص١٤٣.

(٤٢) محمد صالح داوود القزاز: الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية، ص٢٠٧.

(٤٣) برتولد شبولر: تاريخ مغول در إيران، ترجمة محمود مير آفتاب، تهران ١٣٧٤هـ، ص٢٩٦.

(٤٤) محمد صالح داوود القزاز: الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية، ص٢٠٩.

(٤٥) الفخري فى الآداب السلطانية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٦م، ص١٥٢.

(٤٦) محمد صالح داوود القزاز: الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية، ص٢١٠.

(٤٧) جامع التواريخ: مج٢،ج١، ص١٧٨.

(٤٨) نفس المصدر، مج٢،ج٢، ص١٧٩.

– عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص٣٢٣.

(٤٩) عبد العظيم رضابى: أز سلسلة غزنويان تا انقراض صفوية، تاريخ ده هزار سالة إيران، دار نشر اقبال ١٣٧٣هـ.ش، ص١٩١.

(٥٠) فؤاد عبد المعطى الصياد: الشرق الإسلامى،ص ص٢٨٠،٢٨١.

(٥١) عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص٣٢٤.

(٥٢) تحرير تاريخ وصاف، ص ص ٢٠٢،٢٠٣.

(٥٣) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٤١٥.

(٥٤) شيرين بيانى: دين و دولت در إيران عهد مغول، جلد دوم، مركز انتشارات دانشكاه،

تهران د.ت، ص٤٩٩.

(٥٥) حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدى، باهتمام دكتر خانبابا بيانى، طهران، ١٣٥٠هـ.ش، ص، ص٩٨،٩٩.

(٥٦) أبو القاسم عبد الله محمد القاشاني: تاريخ أولجايتو، انتشارات بنكاه وترجمة نشر كتاب، تهران ١٣٤٨هـ.ش، ص١٢١.

(٥٧) كاترمير: مقدمة كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين، مج٢، ح١، ص٢٨.

– فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٧٥.

(٥٨) كاترمير: مقدمة كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين، مج٢، ح ١، ص٢٨.

(٥٩) نفس المصدر، مج٢، ح ١، ص٢٨.

(٦٠) تاريخ أولجايتو ،١٢٢.

(٦١) نفس المصدر، ص١٢٢.

(٦٢) خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٣.

– عبد المحمد آيتى: تحرير تاريخ وصاف، ص٣٠٣.

(٦٣) دستور الوزراء، الترجمة العربية، ص٣٧٨.

(٦٤) دين ودولت إيران در عهد مغول، جلد دوم، ص٤٩٩.

(٦٥) حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٩٨.

–خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٣.

(٦٦) حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٩٧.

– محمد صالح داوود القزاز: الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية، ص٢١٠.

(٦٧) عبد المحمد آيتى: تحرير تاريخ وصاف، ص٣٠٣.

– عباس العزاوى: تاريخ العراق بين احتلالين، ج١، ص٤٣٨.

(٦٨) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٧٩.

- Morgan, David: Medieval Persia1040- 1797, New york,2016, p.67

(٦٩) خواندمير: دستور الوزراء، الترجمة العربية، ص٣٧٨.

(٧٠) تحرير تاريخ وصاف، ص٣٠٤.

(٧١) القاشانى: تاريخ أولجايتو، ص١٢٣.

(٧٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٧٨.

(٧٣) تاريخ أولجايتو، ص١٢٤.

(٧٤) رشيد الدين الهمدانى، جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر بالقاهرة ٢٠٠٠م، ص٣٥٥، ص٣٥٦.

– هاشم رجب زاده: آئين كشور دارى در عهد دورات رشيد الدين فضل الله، ص١٨٧.

– برتولد شبولر: تاريخ مغول در إيران، ص٣١٠.

(٧٥) جامع التواريخ: تاريخ غازان خان، الترجمة العربية، ص٣٥٦.

(٧٦) هاشم رجب زاده: آئين كشور دارى در عهد دورات رشيد الدين،١٨٦،١٨٧.

(٧٧) عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص٣٢٧.

(٧٨) عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، الترجمة العربية، ص٤٦٧.

(٧٩) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣١٤.

(٨٠) رشيد الدين الهمدانى: جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، ص٣٦٦.

(٨١) نفس المصدر، الترجمة العربية، ص٢٨٠، ص٢٨١.

(٨٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣١٤.

(٨٣) جامع التواريخ: تاريخ غازان خان، ص٣٥٨.

(٨٤) نفس المصدر، ص٢٨٤.

(٨٥) عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، الترجمة العربية، ص٤٦٧.

(٨٦) فؤاد الصياد: الشرق الاإسلامي، ص٣١٥.

(٨٧) جامع التواريخ: تاريخ غازان خان، ص٢٨٥.

(٨٨) نفس المصدر، ص٢٨٦.

(٨٩) عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، الترجمة العربية، ص٤٦٨.

(٩٠) نفس المصدر، ص٤٦٨.

– فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣١٥.

(٩١) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين عباس، ومنير البعلبكي،

بيروت ١٩٤٩م، ص٢٧٤.

(٩٢) عبد الله رازي: تاريخ كامل إيران، ص٣٢٧.

– عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، الترجمة العربية، ص ٤٦٨.

(٩٣) جامع التواريخ: تاريخ غازان خان، الترجمة العربية، ص٢٩٠.

(٩٤) نفس المصدر، ص٦٥.

– عبد الله رازي: تاريخ كامل إيران، ص٣٢٧، ص٣٢٨

(٩٥) رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، الترجمة العربية، ص٦٥.

(٩٦) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٣٢٣.

(٩٧) جامع التواريخ: تاريخ غازان خان، الترجمة العربية، ص٢٧٥.

(٩٨) نفس المصدر، ص٢٧٥.

(٩٩) عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، الترجمة العربية، ص٤٧٣.

(١٠٠) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٢٣.

(١٠١) حمد الله مستوفي قزويني: تاريخ كزيدة، جلد أول، ص٦٠٣.

– خواندمير: دستور الوزراء، الترجمة العربية، ص٣٧٧.

(١٠٢) رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، الترجمة العربية، ص٢٧٥.

(١٠٣) نفس المصدر، ص٥٨.

–عباس العزاوى: تاريخ العراق بين احتلالين، ج١، ص٣٩٩.

(١٠٤) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٢٤.

(١٠٥) رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، الترجمة العربية، ص٥٨.

(١٠٦) نفس المصدر، ص٥٨.

(١٠٧) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٢٤.

(١٠٨) عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص٣٢٦.

(١٠٩) رشيد الدين: جامع التورايخ، تاريخ غازان خان، الترجمة العربية، ص ٥٨.

(١١٠) نفس المصدر، ص٤٩.

(١١١) عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، الترجمة العربية، ص٤٨٢.

(١١٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٩٤، ص٣٩٥.

(١١٣) كاترمير: مقدمة كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين، مج٢، ج١، ص٤٣.

(١١٤) نفس المصدر، مج٢، ج١، ص٤٣.

– فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٩٥.

(١١٥) نفس المصدر، مج٢، ج١، ص٤٤.

– فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٩٥.

(١١٦) كاترمير: مقدمة كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين، مج٢، ج١، ص٤٤.

(١١٧) نفس المصدر، مج٢، ج١، ص٤٣.

(١١٨) نفس المصدر، مج٢، ج١، ص٤٤.

– فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٩٥.

(١١٩) تولى آل الجوينى المناصب العليا والدرجات الرفيعة أبًا عن جد ... عن تاريخ هذه الأسرة وجهودهم فى الحفاظ على الدين الإسلامى، ومحاولة إسعاد الرعية.

انظر: ناصر الدين منشي الكرمانى: نسائم الاسحار، ص١٠١،١٠٢.

ادوارد براون: از سعدى تاجامى، ص٢٤،٢٣.

(١٢٠) خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١١١.

– سيف الدين حاجى بن نظام عقيلى: أثار الوزراء، بتصحيح وتعليق مير جلال الدين حسين أرموى، تهران، ١٣٣٧هـ.ش، ص٢٧٦ .

– فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١٠٦.

(١٢١) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٤٢٧،ص٤٢٨.

(١٢٢) عباس العزاوى: تاريخ العراق بين احتلالين، ج١، ص٢٧٧.

(١٢٣) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٩.

(١٢٤) ابن عتبة (جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن مهنا الحسيني العلوي ت ٨٢٨هـ): عمدة الطالب فى انساب آل طالب، بمباى ١٩٠٠م، ص١٦٠.

(١٢٥) الجوينى: تاريخ جهان كشاي، ص٣٥.

(١٢٦) كان مجد الملك من أهل يزد، وأبوه صفى الملك، كان يتولى الوزارة لأتابكة يزد، وقد التحق مجد الملك بخدمة بهاء الدين محمد شمس الدين الجوينى حاكم أصفهان ثم استطاع أن يتصل بصاحب الديوان الخواجة شمس الدين الجوينى ويدخل فى خدمته .

انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص ص٧٤،٧٥.

(١٢٧) ميرخوند (محمد بن سيد برهان الدين خواند شاه): تاريخ روضة الصفا، جلد بنجم، طبعة بمباي، ١٢٧١هـ.ش،ص٩٥.

– برتولد شبولر: تاريخ مغول در إيران، ص٨١.

– جعفر حسين خصباك: العراق فى عهد المغول الإيلخانيين، بغداد ١٩٧٨م، ص٢٧١.

(١٢٨) ميرخوند: روضة الصفا، جلد بنجم، ص٩٥.

– خواندمير: دستور الوزراء، الترجمة العربية، ص٣٤٢.

(١٢٩) جامع التواريخ،مج٢،ج٢، ص٧٨.

(١٣٠) خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص ١١٢.

(١٣١) دستور الوزراء، الترجمة العربية، ص٣٤٢.

(١٣٢) رشيد الدين: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص٧٩.

– عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص٣٢١.

– برتولد شبولر: تاريخ مغول در إيران، ص٨١.

(١٣٣) رشيد الدين: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص٧٩.

- Hope, Michael " Power, Politics, and Tradition in Mongol Empire and The Ilkhanate of Iran , New york, 2016, p.124

(١٣٤) روضة الصفا، جلد بنجم، ص٩٦.

(١٣٥) خواندمير: دستور الوزراء، الترجمة العربية، ص ٣٤٣.

– ناصر الدين منشي الكرمانى: نسائم الاسحار، ص١٠٤

- Hope, Michael " Power,Politics, and Tradition in Mongol Empire and The Ilkhanate of Iran,p.124

(١٣٦) خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١١٤.

– فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص١١١، ص١١٢.

(١٣٧) جامع التواريخ،مج٢، ج٢، ص ص ٨٢،٨١.

(١٣٨) نفس المصدر، مج٢، ج٢، ص٨٢.

– إدوارد براون: از سعدي تاجامي، ص٢٧.

– برتولد شبولر: تاريخ مغول در إيران، ص٣١١.

- Hope, Michael " Power, Politics, and Tradition in Mongol Empire and The Ilkhanate of Iran, p.124.

(١٣٩) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة تصحيح مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، ص ص ٤١٥،٤١٦.

(١٤٠) ميرخوند: روضة الصفا، جلد بنجم، ص٩٧.

–برتولد شبولر: تاريخ مغول در إيران، ص ص ٨١،٨٢

– فؤاد الصياد:الشرق الإسلامي، ص١١٣.

(١٤١) دستور الوزراء، الترجمة العربية، ص٣٤٧.

(١٤٢) عبد المحمد آيتى: تحرير تاريخ وصاف، ص ٦٣.

(١٤٣) نفس المصدر، ص ٦٣.

(١٤٤) ادوارد براون: أز سعدي تاجامى، ص٢٧.

– فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص١١٣.

(١٤٥) تحرير تاريخ وصاف، ص٦٣.

(١٤٦) حمد الله مستوفى قزوينى: تاريخ كزيدة، ص٥٨٤.

– خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١١٨.

(١٤٧) عن نهاية مجد الملك انظر خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٢٠.

–ادوارد براون: از سعدي تاجامى، ص٢٧.

(١٤٨) البناكتي: روضة أولى الالباب فى معرفة التواريخ والانساب، ص٤٣٨.

– عبد الله رازي: تاريخ كامل إيران، ص٣٣١.

(١٤٩) ناصر الدين منشي كرمانى: نسائم الاسحار، ص١١١.

– برتولد شبولر:تاريخ مغول در ايران، ص٢٨٤.

-Encyclopedia of The Mongolia and The Mongol Empire ,Christopher p. Atwood , Library of Congress, U.S.A,2004, p.465.

(١٥٠) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢٧٤ .

(١٥١) حافظ ابرو: ذيل جامع التواريخ رشيدي، ص٩٥.

-Howorth: History OF The Mongols, part 3 London ,1888 , p 537.

-Encyclopedia of The Mongolia and The Mongol Empire, p.465.

(١٥٢) دستور الوزراء، الترجمة العربية، ص٣٧٣.

(١٥٣) حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدي، ص٩٥.

– أبو القاسم القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص ١٢٣.

- Howorth. :history of the mongols, part3, p,537

(١٥٤) حبيب السير، ص ص ١٩٢،١٩٣.

(١٥٥) بارتولد شبولر: تاريخ مغول در ايران، ص٢٨٤.

– فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٩٢.

(١٥٦) كاترمير: مقدمة كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين، مج١ ص٤٥.

– فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص١٦٩.

(١٥٧) ذكره ابن حجر العسقلاني باسم دقماق وهو من كبار أمراء المغول فى دولة خربندا، انظر الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ج٢، نشر دار الجيل بيروت، د. ت نسخة مصورة من طبعة دائرة المعارف بحيدر آباد الركن، ١٩٣١م، ص١٠١.

(١٥٨) فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير،ص١٦٩.

(١٥٩) كاترمير: مقدمة كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين، مج ٢، ج١، ص٤٥.

(١٦٠) حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدى، ص١٢٣.

-Morgan, David: Medieval Persia, p.77

(١٦١) عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام،الترجمة العربية، ص ص٤٨٧،٤٨٦.

(١٦٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٤١٣.

-Howorth: History of The Monogols, Part3, P.587

(١٦٣) شيرين بيانى: دين ودولت، جلد دوم، ص٥٠٦.

(١٦٤) ذيل جامع تواريخ رشيدى،ص١٢٦.

(١٦٥) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى،ص٤١٣.

(١٦٦) فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير ص١٧٤.

(١٦٧) ذيل جامع التواريخ رشيدى، ص١٢٦.

(١٦٨) فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص١٧٤.

(١٦٩) عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، الترجمة العربية، ص٤٨٧.

– شيرين بيانى: دين ودولت، جلد دوم،ص٥٠٦.

(١٧٠) ذيل جامع التواريخ رشيدى،ص ص ١٢٦،١٢٧.

(١٧١) حمد الله مستوفى قزوينى: تاريخ كزيدة، ص ٦٠٢.

– فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص ص١٧٤،١٧٥.

(١٧٢) ذيل جامع التواريخ رشيدى،ص,١٢٧

١٧٣) حمد الله مستوفى قزوينى: تاريخ كزيدة،ص ٦٠٢.

– خواندمير :حبيب السير ،جلد سوم، ص٢٠٠ .

– شيرين بيانى: دين ودولت، جلد دوم، ص٥٠٦.

– فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير ،ص١٧٥.

(١٧٤) ذيل جامع التواريخ رشيدى، ص١٢٧.

(١٧٥) سيف الدين حاجى بن نظام عقيلى: آثار الوزراء، ص٢٨٦.

– عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص٣٣٠.

-The Cambridge History Of Iran v.5. The Saljug And Mongol Periods, edited by J.A .Boyle Cambridge ,1968, p.407

(١٧٦) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، الترجمة العربية، ص،٤٨٧،٤٨٨ .

(١٧٧) خواندمير: دستور الوزراء، الترجمة العربية،ص٣٧٦.

– رضا بازوكي: تاريخ إيران،ص ص١٢٤،١٢٣.

– إدوارد براون: أز سعدي تاجامي، ص ٥٧.

-The Cambridge History Of Iran, V.5, p.407

(١٧٨) حمد الله مستوفى قزوينى: تاريخ كزيدة،ص٦٠٢..

(١٧٩) عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص٣٣٠.

(١٨٠) نفس المرجع، ص٣٣٠.

(١٨١) حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدى، ص ١٢٨.

-عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام،الترجمة العربية، ص٤٨٨.

– فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤١٧.

-The Cambridge History Of Iran, V.5, p.407

(١٨٢) ذيل جامع التواريخ رشيدى، ص ص١٢٨،١٢٧.

(١٨٣) رضا بازوكي، تاريخ إيران، ص١٢٤.

(١٨٤) حمد الله مستوفى قزوينى، تاريخ كزيدة، ص٦٠٣.

– عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص ص٣٣١،٣٣٠.

– شيرين بيانى: دين ودولت، ص٥٠٧.

(١٨٥) دستور الوزراء، الترجمة العربية، ص٣٧٧.

(١٨٦) نفس المصدر، ص٣٧٧.

– كاترمير: مقدمة كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين، مج٢، ج١، ص٥٣.

(١٨٧) حافظ ابرو: ذيل جامع التواريخ رشيدى، ص٩٨.

– خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص٢٠١.

(١٨٨) حافظ ابرو: ذيل جامع التواريخ رشيدى،ص١٢٨.

– كاترمير: مقدمة كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين، مج٢،ح١، ص٥٤.

– رضا بازوكى: تاريخ إيران، ص١٢٤.

– عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام،الترجمة العربية، ص٤٨٨.

(١٨٩) كاترمير: مقدمة كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين، مج٢، ح١، ص ص٥٤،٥٥.

(١٩٠) سيف الدين حاجي بن نظام عقيلي: آثار الوزراء،ص٢٨٦.

– عبد العظيم رضايى تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد سوم، ص١٩٤.

– شيرين بيانى:دين ودولت، جلد دوم،ص٥٠٧.

(١٩١) يذكر خواندمير أن معظم أفراد تلك الجماعة التى أوقعت برشيد الدين رحمه الله يشاء القدر أن يقتلوا فى نفس العام الذى قتل فيه ورحلوا إلى دار العقاب .

انظر: دستور الوزراء، الترجمة العربية، ص٣٧٨.

(١٩٢) تضمنت الهدايا حلقتين من الذهب مرصعتين باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها ألف مثقال وفى كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات، وبينهما ست قطع بلخشي فاخر.

انظر: تقي الدين الفاسي (محمد بن احمد ت٨٣٢هـ: العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد حامد الفقي، فؤاد السيد، محمد الطناحي، ج١،مؤسسة الرسالة، ص٥٦.

(١٩٣) تقي الدين الفاسى: كتاب الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية،٢٠٠١،ص٣١.

– نفس المؤلف: العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، ج١ ص٥٦.

(194) Levy Reuben: Persian literature .An Introducion ,Oxford ,1946 ,P,54

(١٩٥) إبراهيم أمين الشواربي: حافظ الشيرازي، دار المعارف، القاهرة١٩٤٤م، ص٥٠

– فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص ١٨٨.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع الفارسية:

١- آيتى (عبد المحمد):
- تحرير تاريخ وصاف، إنتشارات بنياد فرهنك إيران، ١٣٤٦ هـ .ش.
٢- بارتولد:
- تذكرة جغرافياى تاريخى إيران، ترجمة حمزة سردادور(طالب زاده)، طهران ١٣٠٨ هـ . ش.
٣- بازوكى (رضا):
- تاريخ إيران، طهران، ١٣٠٦ هـ . ش.
٤- براون (إدوارد):
- أز سعدى تاجامى، ترجمة على أصغر حكمت، طهران، ١٩٤٨م.
٥- البناكتى (فخر الدين أبو سليمان داود):
- روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، به كوشش دكتر جعفر شعار، سلسلة انتشارات إنجمن أثار ملى، تهران، ١٣٤٨ هـ. ش.
٦- بيانى (شيرين):
- دين ودولت در إيران عهد مغول، جلد دوم، مركز انتشارات دانشكاهى، تهران د. ت.
٧- الجوينى (علاء الدين عطا ملك ت ٦٨١هـ/١٢٨٣م):
- تاريخ جهانكشاى، بسعى واهتمام محمد عبدالوهاب قزوينى، بريل در ليدن، ١٩١١م.
٨- حافظ أبرو:
- ذيل جامع التواريخ رشيدى، باهتمام دكتر خانبابا بيانى، طهران، ١٣٥٠ هـ.ش.

٩- خواندمير (غياث الدين محمد بن همام ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م):

- حبيب السير فى أخبار أفراد بشر، جلد سوم، انتشارات كتبخانه خيام، ١٣٣٣ هـ. س.

١٠- رازى (عبدالله):

- تاريخ كامل إيران، در نشر إقبال، طهران، ١٣٧٢ هـ .ش.

١١- رضايى (عبدالعظيم):

- تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد سوم، در نشر اقبال ١٣٧٣هـ .س.

١٢- زاده (هاشم رجب):

- أئين كشور دارى در عهد وزارات رشيد الدين فضل الله همدانى، انتشارات دانشكاه تهران، ٢٥٣٥ شاهنشاهى.

١٣- شبولر (برتولد):

- تاريخ مغول در إيران، ترجمة محمود مير آفتاب، تهران، ١٣٧٤ هـ. ش.

١٤- عقيلى (سيف الدين حاجى بن نظام):

- آثار الوزراء، بتصحيح وتعليق مير جلال الدين حسين أرموى، طهران، ١٣٣٧هـ.ش.

١٥- القاشانى (أبو القاسم عبدالله محمد):

- تاريخ أولجايتو، انتشارات بنكاه وترجمة نشر كتاب، تهران، ١٣٤٨هـ.ش.

١٦- قزوينى (حمد الله بن أبى بكر بن أحمد بن نصر مستوفى):

- تاريخ كزيده، بسعى واهتمام إدوارد براون، لندن، ١٩١٠م .

١٧- كرمانى (ناصر الدين منشى):
- نسائم الأسحار من لطائم الأخبار در تاريخ وزراء بتصحيح ومقدمة وتعليق مير جلال الدين حسينى آرموى، انتشارات دانشكاه، تهران، د.ت.
١٨- ميرخوند: (محمد بن سيد برهان الدين خواند شاه):
- تاريخ روضة الصفا، جلد بنجم، طبعة بمباى، ١٢٧١هـ .ش.

ثانيًا: المصادر والمراجع الفارسية المعربة:

١٩- إقبال (عباس):
- تاريخ إيران بعد الإسلام (من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية "٢٠٥- ١٣٤٣هـ/ ٨٢٠هـ / ١٩٢٥م) نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه محمد علاء الدين منصور . راجعه السباعى محمد السباعى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٢٠- خواندمير (غياث الدين محمد بن همام ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م):
- دستور الوزراء، ترجمة وتعليق حربى أمين سليمان، تقديم فؤاد الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.
٢١- رشيد الدين فضل الله الهمدانى:
- جامع التواريخ، مج ٢، ترجمة محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوى، فؤاد عبدالمعطى الصياد، مراجعة يحي الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م.

ثالثًا: المصادر والمراجع العربية والمعربة:-

٢٢- ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد:
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٢، نشر دار الجبل بيروت، نسخة مصورة من طبعة دائرة المعارف بحيدر آباد – الدكن، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

٢٣- ابن طباطبا (محمد بن على المعروف باسم ابن الطقطقى):
- الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.
٢٤- ابن عتب (ت ٨٢٨هـ/١٤٢٤م) جمال الدين أحمد بن على بن الحسين بن مهنا العلوى:
- عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب، بمباى ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.
٢٥- ابن الفوطى: (كمال الدين أبو الفضل عبدالرازق بن تاج الدين أحمد):
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تصحيح مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م.
٢٦- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقى المصرى):
- لسان العرب، ج١٣، دار صادر بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م .
٢٧- أبو العباس (أحمد بن محمد بن على الفيومى ت٧٧٠هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج١، المكتبة العلمية، بيروت (د.ت، ص٢٢٨).
٢٨- بروكلمان (كارل):
- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكى، بيروت ١٩٤٩م.
٢٩- تقى الدين الفاسى (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م) أبو الطيب محمد بن على الفاسى المكى المالكى.
- الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠١م.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين / ج١، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

٣٠- حلقها (أمل محمد):
- من تاريخ المغول (الأزمات الاقتصادية في عصر الدولة الإيلخانية، تقديم أحمد مختار العبادى، نشر العين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالقاهرة، ٢٠١٦م).
٣١- خصباك (جعفر حسين):
- العراق في عهد الإيلخانيين – ٦٥٦-٧٣٦هـ – الفتح – الإدارة، الأحوال الاقتصادية – الأحوال الاجتماعية، بغداد ١٩٦٨م.
٣٢- الشواربى (إبراهيم أمين):
- حافظ الشيرازى، نشر دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٤٤م.
٣٣- الصياد (فؤاد عبدالمعطى):
- الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكوخان) الدوحة ١٩٨٧م.
- *مؤرخ المغول الكبير، رشيد الدين فضل الله، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٦٧م.*
٣٤- العزاوى (عباس):
- تاريخ العراق بين احتلالين، ح١، حكومة المغول، بغداد ١٩٣٥م.
٣٥- الفيروز أبادى (مجد الدين أبو طاهر محمد ابن يعقوب ت ٨١٧هـ): القاموس المحيط، تحقيق مؤسسة الرسالة، ط ٨، بيروت – لبنان ٢٠٠٥م.
٣٦- القزاز (محمد صالح داود):
- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء بالنجف الأشرف، ١٩٦٨م.
٣٧- محمد بن على ابن القاضي محمد حامد ابن محمد صابر الفاروقي ت١١٥٨هـ: موسوعة كشاف مصطلحات الفنون والعلوم، تحقيق على دحروج، ج١، ط١، بيروت ١٩٦٦م.

٣٨- محمد (أحمد محمد):

- إسلام الإيلخانيين، شركة الصفا للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٨٩م.

39-Encyclopedia of The Mongolia and The Mongol Empire ,Christopher P. Atwood , Library of Congress, U.S.A,2004.

40- Hope, Michael " Power, Politics, and Tradition in Mongol Empire and The Ilkhanate of Iran , New york, 2016,p.124.

41-Howorh H.H: History of The Monogols, London,1888.

42-Levy Reuben; Persian Literature, An Introducion Oxford ,1945.

43- Morgan, David: Medieval Persia1040- 1797, New yorkm,2016.

44-The Cambridge: History Of Iran,V.5, The Saljug and Mongol Periods, edited by, J,A. Boyle Cambridge,1968.